



Equipes Notre-Dame

فِرَق السَيِّدة-لبنان

الفرقة المسؤولة الدولية

موضوع درس للعام ٢٠١٦/٢٠١٧

الأزواج بِنَاؤُهُ جَسُور

التحدّيات الرعويّة للعائلة

في التبشير الجديد

ترجمة: جورج الياس عازار

٢٠١٦

المحتويات

- عرض الموضوع
- مقدّمة طو وجوزيه مورا سواريز، عن الفرقة المسؤولة الدوليّة

الاجتماع الأول : إنجيل الزواج والعائلة

الاجتماع الثاني : فنّ المرافقة

الاجتماع الثالث : دعوة الزواج

الاجتماع الرابع : التربية على الأمانة

الاجتماع الخامس: هشاشة الزوجين والعائلة

الاجتماع السادس: التربية على الإيمان

الاجتماع السابع : القيمة الاجتماعية للزواج والعائلة

الاجتماع الثامن : في مواجهة الأوضاع «المختلفة»

عرض وتقديم

تعرض عليكم الفرقة المسؤولة الدولية هذه السنة موضوعًا للدرس يتناول الزَّوجين والعائلة، في صلة مع أعمال السينودس التي استوحاها البابا فرنسيس لكتابة الإرشاد الرسولي الذي تلا السينودس: ((فرح الحبّ - حول فرح الحبّ في العائلة)). قام بتأليف هذا الموضوع زوجان إيطاليّان، واستدعى النصّ بعض التعديلات لكي يأخذ بالاعتبار مواضيع الدرس المعروضة منذ بضع سنوات على أعضاء فرق السيّدة في منطقة فرنسا-اللوكسمبورغ-سويسرا.

إنّ الإرشاد الرسولي ((فرح الحبّ)) (Amoris laetitia)، الذي صدر في فرنسا في ١٩ آذار ٢٠١٦، هو ثمرة عمل السينودسين الحديثين المُخصّصين للعائلة: سينودس في دورة استثنائية حول موضوع ((التحدّيات الراجعة للعائلة في التبشير الجديد)) (تشرين الأوّل ٢٠١٤) وسينودس في دورة عادية حول موضوع ((دعوة العائلة ورسالتها في الكنيسة والعالم المعاصر)) (تشرين الأوّل ٢٠١٥). في السينودس الأوّل، كان حاضرًا الكرادلة ورؤساء المؤتمرات الأسقفية. وفي الثاني، تمثّل كلّ مؤتمر أسقفّي وفقًا لحجمه وأهميته، وهكذا كان لفرنسا أربعة ممثّلين. علاوة على ذلك، كان هناك العديد من الخبّراء المدعوّين من قبل البابا، ومن بينهم زوجان فرنسيّان مسؤولان عن حركة Equipe Reliance، وهي حركة منبثقة من فرق السيّدة تضم الأزواج الذين يعيشون اتحادًا جديدًا.

يستند موضوع الدرس هذا إلى الإرشاد الرسولي المذكور، لكنّه لا يُشكّل، بالتحديد، دليلًا لقراءته. غير أنّه يتيح مقارنة المواضيع الرئيسية فيه بقدر ما تسمح به ثمانية اجتماعات في السنة. نقطة الانطلاق ((الاجتماع الأوّل)) هي نظرة الإيمان إلى الزَّوجين والعائلة: ((إنجيل الزواج والعائلة)). ليس المقصود بهذه العبارة تحديد مجمل مقاطع الإنجيل التي تتعلّق بالعائلة، بل الإلماح في العمق إلى هذه الحقيقة البشريّة التي ينعكس فيها بوضوح خاص نور المسيح ونعمته. ففي هذا المعنى، نستطيع الكلام على الإنجيل.

في وجه تحدّيات زمننا، يحتاج الزوجان والعائلة إلى أن ((يرافقا))، ولكنهما أيضًا ((مرافقان)) (الاجتماع الثاني). فالدعوة إلى الزواج هي في أصل وجود الزَّوجين والعائلة (الاجتماع الثالث)، والزَّوجان لا يستطيعان أن يتقنّا إلاّ في الأمانة (الاجتماع الرابع). ويرغب (الاجتماع الخامس) في أن يحثّ الأزواج على التفكير في الهشاشة. بعد ذلك، يتطرّق البحث إلى أهميّة العائلة في التربية على الإيمان (الاجتماع السادس). ومن ثمّ دورها في المجتمع (الاجتماع السابع). أمّا (الاجتماع الثامن) فهو يجعلنا نفكّر في إحدى رسائل الإرشاد الرسوليّ: الموقف في مواجهة الأوضاع المسماة ((مختلفة)).

يُستَهَلُّ كُلُّ اجْتِمَاعٍ، عَمُومًا، بِمَقْطَعٍ مِنَ الْإِرْشَادِ الرَّسُولِيِّ، تَلِيهِ مَقَدِّمَةٌ قَصِيرَةٌ وَشَهَادَةٌ أَوْ عَدَّةُ شَهَادَاتٍ تَهْدَفُ إِلَى أَنْ تُبَيِّنَ لَنَا وَضْعًا خَاصًّا مَعَيَّنًا مَعَ رَدَّاتِ الْفِعْلِ عَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ عَاشَوْهُ. بَعْدَ ذَلِكَ، يَجْرِي التَّوَسُّعُ بِالْمَوْضُوعِ لِلْمُسَاعَدَةِ عَلَى التَّفْكِيرِ، يَلِي ذَلِكَ بَعْضُ النُّصُوصِ «لِلْمُضِيِّ إِلَى أْبَعْدِ»، وَبَعْضُ الْمَرَاجِعِ الْخَاصَّةِ بِأَفْلامٍ أَوْ كُتُبٍ أَوْ أَعْمَالٍ فَنِّيَّةٍ مِنْ شَأْنِهَا تَوْضِيحُ مَوْضُوعِ الْاجْتِمَاعِ.

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ، تُعْرَضُ عَلَيْنَا بَعْضُ مَسَارَاتِ التَّفْكِيرِ لَوَاجِبِ الْمَجَالِسَةِ وَتَتَبَادَلُ الرَّأْيُ فِي الْاجْتِمَاعِ الشَّهْرِيِّ، بِالإِضَافَةِ إِلَى نَصِّ لِلصَّلَاةِ. كُلُّ ذَلِكَ، بِالطَّبْعِ، يُمْكِنُ تَكْيِيفَهُ لِكَيْ يَتَنَاسَبَ مَعَ كُلِّ فِرْقَةٍ بِمَا يَخْدُمُ وَضْعَهَا وَنُمُوَّهَا الرَّوْحِيِّ.

فرقة إعداد موضوع الدرس

إلى الأزواج والمستشارين الروحيين الأعزاء في فرق السيدة،

إنّ الفرقة المسؤولة الدّوليّة واعيةٌ للجواب الذي أعطاه للربّ ، باسم الحركة كلّها، الأزواج المسؤلون عن ((السوبر-مناطق)) و((المناطق))، في اللقاء الدّوليّ ((روما ٢٠١٥)): ((هَاءَ نِذَاءِ، يَا رَبُّ، أَرْسَلْنِي!)). واليوم، ونحن غائصون في الروح نفسه، نودُّ أن نقترح عليكم موضوعَ درسٍ جديدٍ لعام ٢٠١٦/٢٠١٧ حول موضوع سينودس الأساقفة ((التحديات الرّاعويّة للعائلة في التبشير الجديد))، هذا الموضوع الذي تبدو ديناميكيّة التّوسّع فيه عبر الإنجيل مألوفةً لديكم.

سوف نجد في هذا الاقتراح تحديّ الإنجيل الثابت، وتعاليم الكنيسة، والدعوات المُلحّة والمتكرّرة على لسان البابا فرنسيس خلال المقابلة التي خصّصها لنا في روما - الإصغاء، الصلاة، العمل - مُشدِّداً على دور الأزواج الرّسوليّ، وطالباً منّا استثمار الثروة التي أوكلت إلينا في فرق السيدة. في روح الدّوليّة التي تتّسم بها حركتنا، جرى تحضير موضوع الدرس هذا من قِبَل فريقٍ في سوبر-منطقة إيطاليا.

إذا كان إعلان البُشرى الحسنة، في هذه الحالة الملموسة، ((إعلان بُشرى الزواج))، يتضمّن الفرح المُعاش في حياة الرّوجين والعائلة، فإنّ إنجيل العائلة يؤلّف جزءاً لا يتجزأ من الرسالة التي إليها دُعينا ونحوها نحن متّجهون.

يتعيّن علينا إذن أن نُريد وألاً نخاف، لأنّ وحي الله يُنير حقيقة العلاقة بين الأشخاص.

إنّ العالم يعيش أزمةً إنسانيّةً (humanitaire) مرّدها المستويات المرتفعة من الفقر، والحرمان على أنواعه، والحروب والنزاعات، والاضطهادات الدينيّة. فالتطرفُ يتعاظم وموجاتُ اللاجئين تتزايدُ أعدادها يوماً بعد يوم. ومع ذلك، ففي القرار البابويّ بإعلان يوبيل الرحمة الاستثنائيّ نستطيع أن نقرأ: ((هناك أوقات نشعر فيها بأننا مدعوّون بصورة أكثر إلحاحاً إلى أن نثبّت نظرنا على الرحمة لكي نصير نحنُ أيضاً علامةً فعّالةً على طريقة عمَل الآب)).

من الضروريّ إذن اقتراح رؤيةٍ مفتوحةٍ عن العائلة، كدليلٍ على الحُبّ المُعاش فيها، كونها ((حرم الحُبّ والحياة))، وذلك كعلامة فعّالة على وجود حُبّ الله.

عسى أن يُثبّر هذا التشديدُ على الرحمة فينا جميعاً اهتماماً بالغاً بالمسائل المتعلّقة بالرّوجين والعائلة، بصرف النظر عن محدودياتنا والخطايا التي يمكن أن نكون اقترّفناها.

وعسى أن تفتحنا رحمةُ الله على التوبة المُلحّة والتجدّد الدائم !

عن الفرقة المسؤولة الدّوليّة

طو وجوزيه مورا سواريس

إنجيل الزواج والعائلة

§ ١٣- من هذا اللقاء الذي هو علاجٌ للوحدة ينبثق الإنجاب والعائلة. هذا هو التفصيل الثاني الذي يمكننا التشديد عليه: إنَّ آدَمَ، الذي هو الإنسان في جميع الأزمان وجميع مناطق الكرة الأرضية، وزوجته حوّاء، أنجبا عائلة جديدة، كما يرَدُّه يسوع مستشهدًا بسفر التكوين: ((يترك الرجلُ أباه وأُمَّه ويلزم امرأته، فيصيرُ الاثنان جسداً واحداً)) (مت ١٩: ٥ ؛ را. تك ٢: ٢٤). إنَّ فِعْلَ «يلزم»، أو «يتحد»، في النصِّ الأصليِّ العبريِّ، يدلُّ على التعلُّق بالمعنى الضيق، أي الارتباط الطبيعيِّ والجسمانيِّ والداخليِّ، لدرجة أنَّ هذا الفعل يُستعمل لوصفِ الاتحاد بالله. يقول صاحب المزامير: ((تعلَّقت نفسي بك)) (مز ٦٣: ٩). وهكذا فالإتحادُ الزوْجِيُّ يُشارُ إليه هنا ليس في بُعدِه الجنسيِّ والجسديِّ فحسب، وإنَّما أيضاً في كونه عطيةً حُبِّ إرادية. إنَّ هدفَ هذا الإتحاد هو التوصلُ إلى أن ((يصير الاثنان جسداً واحداً))، إمَّا بالعناقِ الجسديِّ وإمَّا باتِّحاد القلبين والحياتين، ورُبَّما من خلال الطفل الذي سيولد من الاثنين وسيحمل في ذاته ((الجسدين))، مُوحِّداً إياهما ليس جينياً فقط، بل وروحياً أيضاً.

(فرح الحب، الفصل الأول، العدد ١٣)

١. مقدّمة

فِرْقُ السَيِّدَةِ هي حركة روحانية زوجية تُشَدِّد طبيعياً على حُبِّ الزَّوْجَيْنِ، أصلِ العائلة وأساسِها. إنَّ حُبَّ الزَّوْجَيْنِ هو ((بُشْرَى الزَّوْج)).

إنَّ كلمة ((إنجيل)) تعني ((البُشْرَى)) أو الخبر السار. وهي تتضمَّن مفهومَ فَرَحٍ يظهر حتى خارج الزَّوْجَيْنِ، ويتجسَّد في خصوصتهما ورسالتهما التبشيرية. ويُدكِّرنا سينودسُ العائلة بمعنى مسؤوليتنا في هذه الرسالة.

يجري الكلامُ على ((البشْرِ الحسنة)) التي يُشكِّلها حُبُّ الزَّوْجَيْنِ لأنَّ هذا الحُبُّ هو حدثٌ ينكَّر، وهو هبة مُعطاة لنا دائماً كهديَّة متجدِّدة بلا نهاية. إنَّ الحُبَّ الزَّوْجِيَّ أُعْطِيَ لنا... ((فهي (الزوجة) نصيبك منذُ القَدَم)) (طوبيا ٦: ١٨).

هذه البُشرى هي صورةٌ وانعكاسٌ لأكبرِ حَدَثٍ حصل في التاريخِ البشريِّ، وهو ((الإنجيل)) الحقيقيُّ: يسوعُ المسيح (را. مر ١: ١؛ ١ يو ١: ١). إنَّ ((البُشريين))، بشرى يسوع المسيح وبشرى الرُّوجين، مُرتبطتان معًا بشكلٍ حميم. فحُبُّ المسيح هو ينبوعُ حُبِّ الرُّوجين. ومن جهةٍ أُخرى، إنَّ حُبَّ الرُّوجين هو شعاعُ نورٍ من حُبِّ يسوع الذي ينضمُّ إلينا ويلمسُّنا. فكلُّ واحدٍ مِنَّا بدأ يختبر بطريقتة ملموسة حنانَ الله. إنَّ الحُبَّ، في إنجيل الرُّوجين هو أوَّلُ إعلانٍ لإنجيلِ يسوع. فالحُبُّ بين الرجل والمرأة هو انفتاحٌ على مطلقِ الله. إنَّ الثَّنائيَّ، أي الرجل والمرأة، هو الأساسُ لبناء العائلة. وهدف هذا الاجتماع هو اكتشاف أنَّ أساس العائلة مصدره الحُبُّ بين رجلٍ وامرأة. هذه هي ((بشرى الزواج الحسنة)).

٢. شهادات

❖ ((وفجأة، شعرتُ بأنِّي مدفوعةٌ كما بيدِ سريّةٍ نحو ((عمّانويل)). لقد تلقّيت قوّةً جديدة، قوّةً غير آتيةٍ مِنِّي، قوّةً تدفعني نحوه بطريقتة حتمية، قوّةً لا تحتاج إلى انتظار الأجوبة التي كانت تُربك رُوحِي. هذه القوّة كشفت لي، (مثل شجرة تُفّاح وسط أشجار الغابة))، أنَّ ((عمّانويل)) هو الرجل الذي سأقضي معه حياتي في ما تبقى لي من الأيام. لم أواجه هذه القوّة بأية مقاومة، بل تبعْتُها أوَّل الأمر، ثمَّ استسلمتُ لها كليًّا، إذ استشفقتُ فيها شيئًا سرّيًّا لا يمكن شرحه. لقد انتابني الشعورُ بأنِّي بلغتُ نهايةَ سفرٍ طويلةٍ قمنا بها نحن الاثنان، فغيّرت وجودي إلى الأبد. ولم أدرك إلا بعد بضع سنوات أنني تعرّفتُ في لقائنا حضورَ الله. الله الذي وضع يده على رأسي ودفعني نحو ذراعي ((عمّانويل))، الذي، بدوره، وبفضل هذا الإله، جاء نحوي، في تلك اللحظة بالذات، مع الاستعداد والقدرة على أن يلتقيني ويُعدّيني للأيام الباقية من حياتي)).

(إيلينا، أزواج من الكتاب المقدّس ومن اليوم: قصص حُبِّ ومواجهة، Gruppo La Vigna- EDB)

❖ ((على مدى عشرين عامًا من زواجنا، حصل لنا، ولا يزال، الشعور بأننا محبوسون في مخصصاتنا التافهة وعيوبنا الصغيرة، التي تجعلنا نشعرُ بأننا بعيدون الواحد عن الآخر ووحيدون... إنَّ رُوحِي ليست ساكنة... وأنا في حالة غضبٍ تجاهك. وعندما يكون المرء في حالة غضب، يصعب عليه التفكير أن شيئًا جميلًا يمكن أن يولد من جديدٍ بيننا. لقد توصلتُ إلى أن لا أزدُ بالسوء، لكنني لا أزال أعرف أن أحرّد، فأعزل نفسي داخل أفكارِي، وأخلق مسافاتٍ هائلة بيننا. عندما لا أشعر أن أحدًا يبحث عني، عندما لا أشعر أنني بين الأشياء الأكثر أهميةً في حياتك، حينئذ ينتابني شعورٌ بالخيبة. فأفقد انتباهاتك وكلماتك ومعنى ((أن نكون معًا)). وحين أكون في هذه الحالة، أنت تعرف أنني أحتاج إلى الوقت لكي أهدأ وأستكين... ثمَّ، بعد أن يضعف هذا الشعور السيئ، أفكرُ مُجددًا وأرى ما فيك من أمور حسنة. وأدركُ

أنتي أبلعُ أحيانًا. أرجوك أن تسامحني على تصرُّفي البارد أحيانًا والعدائيَّ تجاهك. مع كلِّ أسفي. أحيُّك دائماً!))

(برباره و دوناتو، من فرق السيِّدة)

❖ ((... ليس لديَّ القوَّة على مواجهة جوارٍ! مؤحَّرًا، بكيتُ كثيرًا في صمت الليل. فالحزن والوحدة يجعلاني أسيرةً وغيرَ قادرة على مخاطبتك.

إنِّي أشعرُ بأنِّي وحيدة، وأنا آسفة لكوني غيرَ مفهومة ولا مُقدَّرة ولا مَحبوبة... والأسوأ من كلِّ ذلك هو أنني أشعر بالتعب وبأنَّ لا قوَّة عندي لكي أستعيد وحدتنا.

لم أعدُ أتعرَّفُ الرُّوجين اللذين كُنَّاهما في الماضي، واللذين كانا يسعيان إلى الحوار وإلى تقاسمِ مُجرياتنا اليوميَّة في فَرَح اللقاء. إنِّي تعب، وخائفة من المستقبل لأنك غائب. فأنت مأخوذٌ وعالقٌ في عمَلِك، ورأسك وقلبك ليسا معي هنا، في بيتنا وفي عائلتنا. تُرى ما هو مصيرنا ومصير زوجنا؟ أرجو أن تُعطينا هذه الرسالة القوَّة على إعادة فتح الحوار بيننا. رجوتك، ارجع!))

(ريناتا و إدو، من فرق السيِّدة)

٣. للتفكير

يشعر الرجل والمرأة، في بداية حبِّهما، بانجذاب قويٍّ، جسديٍّ وحواسيٍّ. هذا ((التسونامي)) يقلب، رأسًا على عقب، حياة كلِّ من الاثنين، اللذين يشعران بالحاجة الحياتيَّة إلى أن يبحثوا واحدُهما عن الآخر وأن يلتقيا معًا. ليس الحبُّ مفهومًا مجردًا أو فكرةً فلسفيَّة، لكنَّه بالأحرى اختبارٌ يجد أساسه في الفصلين الأوَّلين من سفر التكوين.

➤ وبالفعل، من خلال رواية الخلق، أعطيت لنا حقيقة العلاقة الزوجيَّة: إنَّها أعظم عطية وهبت للإنسان وهي تُتيح له أن يحقق ذاته في الملء. فبعد أن صنع الله الإنسان ((من تراب الأرض))، وبعد أن حوَّله بنفخة نَفْسِه إلى ((كائن حي))، تبين لله أنَّ شيئًا ما ينقص الإنسان. كان آدمٌ وحيدًا في الفردوس الرائع، لكنَّه تهلَّل عندما قُدِّمت له المرأة كزوجة، وتعرَّف فيها حوَّاءه: ((وقال الربُّ الإله: لا يجبُ أن يكونَ الإنسانُ وحده، فلأصنعنَّ له عونًا يناسبه. فأوقع الربُّ الإلهُ سُبَاتًا عميقًا على الإنسانِ فنام. فأخذَ إحدى أضلاعِهِ وسدَّ مكانها بلحم. وبنى الربُّ الإلهُ الصِّلَع التي أخذها من الإنسانِ امرأةً، فأتى بها الإنسان. فقال

الإنسان: هذه المرّة هي عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي)) (تك ٢: ١٨ و ٢١-٢٣). (ورأى الله جميع ما صنعه فإذا هو حسنٌ جدًّا)) (تك ١: ٣١ آ)

إنّ إنجيل الزواج إذن قد أُعلنَ وأُسسَ في الخلق. فالرجل والمرأة منذ الخلق مدعُوان إلى هدفٍ طَموح، هو تنمية وتكاتف كلٍّ واحدٍ في ممارسة القبول المتبادل واحترام الآخر والثقة، من أجل أن يتعارفا ويجد كلٌّ منهما نفسه في حقيقة جديدة هي الـ((نحن)).

تقول لنا كلمة الله أيضًا إنّ الله جعل الرجل والمرأة مُنجِبين أي مشاركين في الخلق، وعهد إليهما بعمَل يديهِ: ((الفردوس الأرضي)).

وباركهمُ اللهُ وقال لهم: ((انموا وَاكثُرُوا وأمَلُوا الأَرْضَ وَأخضِعُوهَا وَتَسَلَّطُوا عَلَى أَسْمَاكِ البَحْرِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ وَكُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ)) (تك ١: ٢٨).

➤ تجد العائلة أصلها الأقدم في رؤية الله الذي يُعطي الحُب للرجل والمرأة. ولهذا السبب، عندما نتحدّث عن إنجيل الزواج والعائلة، ينبغي التفكير في شيءٍ ما، ((جيد)) في العمق. فحُبُّ الرّوجين، الذي هو في أصل العائلة، يخلق واقعًا جيدًا وجميلًا حتى إنّهُ يمكن تعريفه بـ((حرم العلاقة)) (le sanctuaire de la relation). ففي العائلة، يغوص الشخص البشري في الحُب المُعطى والمتلقّى. والعائلة هي المكان الذي تُختبر فيه الأشكال الأكثر تنوعًا من العناية والانتباه، وبخاصةً تُجاه الأشخاص الأكثر هشاشة: الأولاد، الأشخاص المسنين والمرضى. إنّ لإنجيل العائلة طعم الحليب الساخن في الترويقة والخُفين المُريحين. وفي الوقت نفسه، بوسع العائلة أن تجمع الحيوانات الجنونيّة لأعضائها الذين يجدون صعوبة في أن يتلاقوا، كما بوسعها أن تكون مكان اللاتواصلية والجدلية المعادية للأجناس والعدوانية والعنف والانعزالية وسوء التفاهم.

إنّ مجتمعنا الإعلاميّ يروي غالبًا المشاحنات والهشاشات لدى الرّوجين والعائلة.

➤ من السهل أن يُحبّ المرء عندما تكون الأمور على ما يُرام، إلّا أنّ الصعوبات تتدنّس بطريقة لا يمكن تجنّبها في العلاقات الرّوجية وتُهدّد الانسجام والتناغم بين الرّوجين. إنّ حُبَّ الرجل والمرأة يجب أن يُبنى كلّ يوم بإرادةٍ وعنايةٍ وتقانٍ ومسامحة. فأشكالُ التعب اليوميّ تُعرّض الأزواج للخطر إلى حدّ الانفصال. وحتى في السنوات الأولى من الزواج، يصعب على الرّوجين أن يجدوا التوازن المطلوب في بحثهما عن الـ((نحن)). فالدّهشة والجمال والاندھال التي يعيشانها في بدايات الحياة الرّوجية تتعرّض لامتحان الحياة الواقعيّة، فيصطدم الزوج والزوجة بحدودهما الخاصّة، ويُدرِكان عدم قدرتهما على قبول واحدٍهما الآخر كما هو. إنّ عالم الآخر، هذا العالم المثالي، يظهر صعبًا على المعرفة والفهم، فيصير غريبًا، وهذا ما يخلق مسافةً وصعوبةً في التواصل.

➤ وحينئذ، يأتي وقت الأمانة، والثقة المتجددة بوعد الحب المتبادل. ((لا تنقصك المثابرة، فقد تحملت المشقات في سبيل اسمي من غير أن تسأم. ولكن مأخذي عليك هو أن حُبك الأول قد تركته. فاذكر من أين سقطت ونُب واعمل أعمالك السالفة)) (رؤ ٢: ٣-٥). وحينئذ، يستطيع إنجيل الزواج أن يُعبر عن نفسه بقوة، حين نكون قادرين على أن نتخطى أنفسنا لكي نتقبل الآخر كما هو، انطلاقاً من حدوده أو عيوبه، فنعرف أن نضع في المقدمة خصاله وميزاته، حين نضع ثقفتنا في الآخر، وحين تكون لدينا الشجاعة على المغفرة. حينئذ، تصير البشري الحسنة أيضاً شهادة على ما نعيشه أمام الذين يُحيطون بنا.

٤. للمضي إلى الأبعد

§ ١٢- ولكن يسوع، في حديثه عن الزواج، يُعيدنا إلى صفحة أخرى من سفر التكوين، الفصل ٢، حيث تظهر صورة رائعة للزوجين مع تفاصيل مُنيرة. فلنختَر منها اثنين فقط. الأول هو قلق الرجل الذي يبحث عن «عون يُناسبه» يكون قادراً على ملء هذه الوحدة التي تُزعجه والتي لم يستطع ملاًها بقرب الحيوانات وسائر المخلوقات. إن العبارة الأصلية في اللغة العبرية تُحيلنا إلى علاقة مباشرة بين الرجل والمرأة، علاقة «مُجابهة»-العين في العين- إنما في حوارٍ صامت، لأن أوقات الصمت في الحُب هي عادةً أفصح من الكلمات. إنها لقاء وجهين، عبر لهجة حميمة تعكس الحُب الإلهي. كما يقول الحكيم يسوع بن سيراخ في الكتاب المقدس: ((من حصل على امرأة فهي له رأس الغنى وعون يُشبهه وعمود يستند إليه)) (سي ٣٦: ٢٤). أو كما تهتف الحبيبة في نشيد الأناشيد: ((أنا لحبيبي وحبيبي لي)) (نش ٢: ١٦ و ٦: ٣).

(فرح الحُب، § ١٢)

§ ٣٣- من جهة أخرى، «ينبغي أن نأخذ بالاعتبار الخطر المتزايد الذي تُمثله فردية متفائمة تُشوّه الروابط العائلية وتؤدي إلى اعتبار كل عضو في العائلة مثل جزيرة، مع تغليب فكرة شخصٍ يبني ذاته وفق رغباته الخاصة رافعاً إياها إلى مستوى المُطلق». ((إن التوتُّرات الناجمة عن ثقافة فردية متزايدة، ثقافة التمكُّ والتمتع، تُؤد في وسط العائلات ديناميات الألم والروح العدائية)). علاوة على إيقاع الحياة الحالية والتوتُّر والتنظيم الاجتماعي وتنظيم العمل، لأنها عوامل ثقافية تُعرض للمخاطر والمجازفة إمكانية الخيارات الدائمة. وفي الوقت نفسه، نجد أنفسنا أمام ظاهرات غامضة. مثلاً، ننظر بعين التقدير إلى شخصنة تُراهن على الأصالة، عوضاً عن إعادة إنتاج تصرفات مُعتادة. إنها قيمة يمكن أن تُتميّ مختلف الملكات والروح العفوية؛ لكنها، إذا ما وُجّهت توجيهها خاطئاً، يمكن أن تخلق مواقف من الشك والريبة الدائمين، وأن تؤدي إلى التهرب من الالتزامات، والانغلاق في الرفاهية والرخاء، والعجرفة. إن حرية الاختيار تُتيح للمرء أن يخطِّط حياته ويُتميّ أفضل ما فيه، ولكن، إن لم يكن لها أهداف سامية أو نظام

شخصي، فهي ستتقهقر إلى نوعٍ من العجز عن بذل الذات بسخاء. وبالفعل، في كثير من البلدان التي يتناقص فيها عدد الزيجات، يتزايد عدد الأشخاص الذين يقررون العيش وحدهم، أو يُقيمون حياةً مشتركة بدون مُساكنة. يمكننا أيضًا التشديد على معنى العدالة الرائع، ولكنّه إذا لم يُفهم فهمًا صحيحًا، يُحوّل المواطنين إلى زبائن لا يتطلّبون إلا تأمين الخدمات.

(فرح الحُب، الفصل ١)

■ مقتطفات من محاضرة الأب كافاريل في روما بتاريخ ٥ أيار ١٩٧٠:

«أظنكم تشاطرونني الرأي بالاعتراف أنّ هذا التحدّي الذي يُوجّهه الإلحاد للمسيحيين يستلزم بإلحاح جوابًا منّا، وهذا الجواب هو شهادتنا. فبمجرد كوننا نعرف الله ونُحِبُّه، كيف لا نجد أنّ تشويه وجهه الحقيقي وإهانته يشكّلان أمرًا لا يُحتمل؟ وبمجرد أننا نُحِبُّ إخوتنا، فكيف نحتمل أن يكونوا، وهم يجهلون وجهه الحقيقي، غائصين في الضيق والقلق والعبثية؟ وبمجرد أن يكون لدينا حسُّ التضامن الاجتماعي، كيف لنا ألا نشعر بأننا نشارك في مسؤوليّة خيانة الله من قِبَل المسيحيين؟ يقع على عاتق الكنيسة جمعا أن تكشف لزماننا وجه الله الحقيقي. وهذه، بمعنى ما، وبوجهٍ مخصوص، مهمّة الأزواج ورسالتهم.

بوسعي أن أحزر ردّة فعلكم: «إنّ المهمّة عظيمة، عظيمة جدًا؛ ونحن ليس لدينا لا الوقت ولا الكفاءة». وماذا لو أجبناكم: أنتم، بصورةٍ خاصّة، جديرون بالقيام بهذه المهمّة تحديدًا لأنكم أزواج؟ إذ إنّ لديكم موهبةً خاصّة. ومن جهةٍ أخرى، لكي تكونوا هؤلاء الشهود الذين ينتظرهم العالم، لستم في حاجةٍ إلى أن تتخلّوا عن مهامكم العائليّة والمهنيّة؛ وليس عليكم الذهاب إلى البعيد للقيام بجهاٍ ديني.

أوضّح فكري: إنّ العالم المُلحد، بدون أن يدري، يأمل من حُبكم الرّوجي ومن أسرتكم شهادةً أساسيّة.

مراجع حول الموضوع...

نشيد الأناشيد: حياتي، مطابع أوريون، ١٩٦٠	مارك شاغال:
Dكان الصائغ la Boutique de l'Orfèvre	كارول فوجيتيلا:
الطريق إلى المنزل The road home (فيلم)	Zhang ymou ظانغ يُمُو
رسالة إلى الأسر (١٩٩٤) § ٦-١٧ Lettres aux familles	يوحنا بولس الثاني
الإرشاد الرسولي «وظائف العائلة المسيحيّة»، ١٩٨١، § ٤-١٠؛ ٢٨-٣٥	يوحنا بولس الثاني
عمق الجنسين: من أجل روحانيّة الجسد	F. Hadjadz ف. حجاج
جسد اللحم؛ أبعاد الحبّ الاخلاقيّة والجماليّة والروحيّة، منشورات Le Cerf	إكس. لacroix X. لacroix
باريس (١٩٩٢)	

٥. مسارات تفكير للمجالسة

- هل نعي أنّ حبنا يجد نبعه في الربّ الذي قادنا الواحد إلى الآخر؟ وأننا شعاع من الحبّ الإلهيّ؟
- كيف نواصل الاندخال ونحن ننظر إلى شريك (أو شريكة) حياتنا؟

٦. اقتراح للمشاركة الروحيّة

- هل للرياضة الروحيّة مكانٌ في حياتنا الروحيّة؟

٧. مسارات لتبادل الآراء في الفرقة

- في سفر التكوين، يجد حُبُّ الرجل والمرأة أصله في «رغبة» الله. لذلك، فهو جذرياً «حسنٌ». هل يجد هذا القولُ صداه فينا؟
- هذه «المهمّة» المؤكّلة من الله للرجل والمرأة: هل نستشفُّ أهمّيّتها وجمالها؟ ما هو مشروعنا لتحقيقها؟
 - كيف نشهد لنعمة سرِّ الزواج، كقوّة خاصّة على طريق الحياة، وكهبة هائلة لا تُقدَّر بثمن؟
 - نحن نشارك، من خلال حبنا، في بناء الملكوت. هل نحن «زارعي حُب»؟ فيما بيننا، تجاه أولادنا وتجاه العالم؟

من نشيد الأناشيد (نش ١ : ٢-٤ آ ؛ ٤ : ١ و ٧-١١ ؛ ٨ : ٦-٧):

الحبيبة:

لِيَقْبَلْنِي بِقَبْلِ فَمِهِ، فَإِنَّ حَبَّكَ أَطْيَبُ مِنَ الْخَمْرِ.
أَطْيَابُكَ طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ، وَاسْمُكَ طَيِّبُ مُرَاقٍ، فَلِذَلِكَ أَحَبَّتْكَ الْعَذَارَى.
إِجْذِبْنِي وَرَاءَكَ فَجَرِي.

الحبيب:

جَمِيلَةٌ أَنْتِ، يَا خَالِيَتِي، جَمِيلَةٌ أَنْتِ!
كُلُّكَ جَمِيلَةٌ، يَا خَالِيَتِي، وَلَا عَيْبَ فِيكَ.
هَلُمِّي مَعِي مِنْ لُبْنَانَ، أَيَّتُهَا الْعَرُوسُ، هَلُمِّي مَعِي مِنْ لُبْنَانَ.
قَدْ خَلَبْتُ قَلْبِي يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ، قَدْ خَلَبْتُ قَلْبِي بِأُحْدَى عَيْنَيْكَ وَبِحَلَقَةٍ مِنْ عِقْدِكَ.
مَا أَجْمَلَ حُبِّكَ يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ! إِنَّ حَبَّكَ أَلْذُّ مِنَ الْخَمْرِ، وَرَائِحَةُ أَطْيَابِكَ فَوْقَ جَمِيعِ
الْأَطْيَابِ.
شَفَاتِكَ تَقْطُرَانِ شَهْدًا، أَيَّتُهَا الْعَرُوسُ، وَتَحْتَ لِسَانِكَ عَسَلٌ وَلَبَنٌ حَلِيبٌ، وَرَائِحَةُ ثِيَابِكَ كَرَائِحَةَ
لُبْنَانَ.

الحبيبة:

إِجْعَلْنِي كَخَاتَمٍ عَلَى قَلْبِكَ، كَخَاتَمٍ عَلَى ذِرَاعِكَ، فَإِنَّ الْحُبَّ قَوِيٌّ كَالْمَوْتِ، وَالْهَوَى قَاسٍ كَالْمَنَى
الْأَمْوَاتِ، سِهَامُهُ سِهَامُ نَارٍ وَلَهَيْبُ الرَّبِّ.
الْمِيَاهُ الْعَزِيرَةُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْفِئَ الْحُبَّ، وَالْأَنْهَارُ لَا تَغْمُرُهُ، وَلَوْ بَدَّلَ الْإِنْسَانُ كُلُّ مَالِ بَيْتِهِ
فِي سَبِيلِ الْحُبِّ لَاحْتَقَرَ احْتِقَارًا.

فن المرافقة

«رأى السامريّ الرجلَ المُلقى على جانب الطريق (فأشفق) عليه، أو 'تعاطفَ' معه. الفعل الأصليّ يعني حرفياً 'تحركت أحشاؤه'... و'التعاطف' هو 'الشعور بشيء ما مع شخص ما'. أمرٌ جيّد أن نشعر بشيء ما 'مع'، أو 'من أجل'، أو 'مكان' الآخر. هذا الشعور هو في صلب التعاطف والشفقة. ولكن، يمكن أن نستشفّ فيه نوعاً من التنازل الذي لا يخلو من الاستعلاء، أو نوعاً من الأبويّة التي لا تخلو من روح التسلّط. يجبُ عليّ أيضًا أن أشعرَ مع الآخر، وأن أُوليّ انتباهًا إلى ما يشعرُ به هذا الآخر وإلى كيفية رؤيته للأشياء.

عندما يُنظرُ إلى الحبِّ في معناه العام 'المحبّة' (Agapè)، فهو يستلزم منا أن نقرب اقترابًا حميمًا من الآخر، إنّما أيضًا أن ندع مسافةً بيننا وبينه لكي يكون ذاته أي ما هو.

إنّ الحرّيّة الأعظم هي أن يبذل الإنسان حياته... 'فالمسيح' حرّرنا لكي نكون أحرارًا (غل ٥: ١). هذه هي حرّيّة الزواج، يعني المجازفة بأن يُعطي شخص ذاته إلى شخصٍ آخر. إنّ الشخص الذي لا يتجرأ على القبول بهذه المجازفة، ويريد التمسك الدائم بالرقابة على كلّ شيء وضبط كلّ شيء، يبقى أسير هذا الخوف.

إنّ جزءًا من مهمّة العائلة في المجتمع المعاصر هو تشجيع الناس على القيام بمجازفة الحب والقبول بمخاطره. ربّما كان بعض الشباب يلجأون أحيانًا إلى المُساكنة لأنّهم يخافون من هذا الالتزام. أو ربّما كان البعض الآخر، الذين يعيشون علاقةً ثانية أو ثالثة، يخافون من أن يُجرّحوا مُجددًا، ويرغبون في التمسك التامّ بزمام حياتهم. فلنحتّم على أن تكون لديهم الشجاعة لكي يدعوا الله يخرّب مخطّطاتهم!.

(ت. رادكليف، برازيليا، ٢٠١٢)

١. عرض الفصل

ما هي المرافقة؟

إنّ علم الاشتقاق اللغويّ لكلمة مرافقة (cum panis) يحيلنا إلى تقاسم الخبز والموارد مع الآخر.

يفترض فعلُ المرافقة كلّ ما يمكن أن يكون لدى المرء من رقة ورهافة واحترام تُجاه الآخر؛ وهذا يعني أن يكون المرء قريب الآخر، أي أن يُصغي إليه في العمق ويكون إلى جانبه ويُساعدَه على اكتشاف الحقيقة لكي يتمكّن من أن يتبع طريقه بشكلٍ فريدٍ وحصريٍّ وخلاقٍ وشخصيٍّ.

هذه المرافقة تؤدّي إلى الإيمان، إلى اكتشاف الذات، إلى الحقيقة، إلى الحبّ، إلى الحرّيّة. عليّ كمُرافقٍ أن أتطهر من تجربة الحُكم على الآخر ومن الإرادة والرغبة في أن يصير الآخر مثلي، وأن أفرض عليه ما هو صالحٌ في نظري. المرافقة الحقيقيّة هي أن أعرف كيف أنتظر الآخر برحمة وحنانٍ مثلما يفعل الله مع كلّ واحدٍ مِنّا.

المرافقة هي الانفتاح على التضامن بين الرجال والنساء، هي أن أعمل على بناء كنيسةٍ (في حالة خروج)، كنيسةٍ تعرف كيف تستقبل وتسنّد وتُمارس الرحمة.

المرافقة هي أن أنشر الرجاء الإنجيليّ، الذي ليس مجردَ تفاؤلٍ غامض، بل أن أومن بأنّ الله لا يتخلّى عنّا أبدًا وأنّ الخير لا بُدَّ له في النهاية من أن ينتصر على الشرّ.

المرافقة هي أن أعرف كيف أفسحُ مكانًا للآخر، عالمًا أنّ لسنا نحن بل الربُّ هو الكفيلُ بأن يُخرج الثمار في حياة كلّ إنسان وفي الكنيسة البيتيّة التي هي العائلة.

المرافقة هي تقاسمُ الإنجيل، وتقديمه للآخرين، والشهادة له بحياتنا، حتى ولو كانت مطبوعَةً بالجراح.

المرافقة هي أن أضع الثقة حيث لا ثقة ولا أمل.

❖ ((أصدقاءنا الأعزاء،

مثلما يعرف مُعظَمُكم، إنَّ الحياة تَضَعُنَا أحيانًا في مواجهة محنة قاسية. لقد شَخَّصَ لي سرطانٌ في الكبد من النوع الخطير. بؤسَكم أن تتصوَّروا أنَّ هذا الحدث شكَّل انقلابًا كبيرًا في حياتنا. فنحن لا نزال تحت وقع هذه الصدمة، ولا يزال يدور في رأسي إحصارٌ من المشاهد والافتراضات والأفكار والمخاوف والأسئلة. خلفَ هذا الإحصار المؤذي، ألمَحُ أحيانًا نفسي، فأرى مكانًا معيَّنًا، أُجْتَهد في الذهاب إليه والبقاء فيه. في هذا المكان أجدُ العالمَ وزوجتي وأهلي... كما أجدُ هناك أيضًا إيماني بيسوع. لكنَّ الأمرَ الإستثنائيَّ جدًّا، والأملَ المُعدي، وقوَّةَ المُشاركة... هي أنكم، يا أصدقاءنا، هنا. نحن نشعر بقربكم الحقيقيِّ مِنَّا، وأنتم تُشعروننا بحضور المسيح القائم من الموت.

... إنَّ ما يمكن أن يبدو، من الخارج، لامِعًا وحيويًا، هو - في داخلنا - غامضٌ ومُربٍ ومُترنِّح. نحن نتمتِّم، مثل إنسانٍ خانفٍ ومرتعب، صلواتٍ للخلاص. إننا، من الداخل، نبكي ونعترض ونثور، في حين إنَّه، في هذه الظروف التي تتراكم فيها الانشغالات الدنيويَّة والماديَّة، ليس من السهل على الإطلاق الشعورُ بأننا على وفاقٍ مع الله. وإذا كنَّا قريبين منه، فالسبب هو القلق، وليس قوَّة إيماننا. هذا الوضع يجعل ضعفَ إمكاناتنا أمرًا بديهيًا. ومع ذلك، فالإنجيل يقولها في ألف مناسبة: إنَّ قوَّتنا تكمنُ في الضعف. فحين نشعر بأننا صرنا لا شيء، نتوصَّلُ إلى أن يجتاحنا روحُ الله. وكأنَّما لا نسمح للحبِّ الإلهيِّ بأن يغمرنا إلَّا عندما يصيرُ ((الأنا)) فينا على الأرض. يحصل ذلك، بشكلٍ ملموس، من خلال شخص يسوع المسيح الذي يعمل في الأشخاص المُحيطين بنا، أي في كلِّ واحد منكم. لِحُسنِ الحظِّ أنَّ ابنَ الله تجسَّدَ في إنسانٍ! ولولا ذلك، لكان علينا أن نتساءل كيف كان بؤسنا أن نحيا وأن نؤمن.

إنَّ تجربة ((الشَّريِّ)) تكمنُ في أنَّه يجعل الإنسان ينطوي على ذاته، وينظر إلى نفسه فقط، ولا يرى إلَّا عالمه الخاصَّ، كما لو أننا لسنا جزءًا من هذا العمل العظيم، عملِ الحبِّ الذي يشمل العالمَ بأسره والبشريَّةَ كُلَّها. إنَّني أبحث عن حضور هذا الحبِّ الإلهيِّ، وأجدُه بقُربِي مُجسَّدًا وملموسًا في زوجتي. هذا الحبُّ هو، بدون أيِّ شكِّ، حُبُّ المسيح. وهذا ما يُشعُرني فورًا بالعزاء. ثم هناك الأصدقاء، أنتم جميعًا، الذين أشعر بأنهم حاضرون وقريبون. أنتم تحملون العالمَ إلى ههنا: تحملون عائلتكم، وقصصَ الحياة بما فيها من أفراح وآلام. نحن نصلي من أجل جميع الذين يجتازون أوقاتًا يسودها المرضُ واليأس: فليغمُرهم اللهُ بحنانه ورحمته.

إننا، نحن الاثنين، مَحظوظان: لأننا لسنا أبدًا متروكين، ولو للحظة. يقول يسوع عن الصداقة: ما من حُبِّ أعظم من أن يبذل الإنسانُ حياته عن أحبائه (أو أصدقائه). هذه الكلمات لها دائمًا تأثيرٌ كبير علينا.

فَعَبَرَ هَذَا التَّيَّارَ مِنَ العُطْفِ وَالمَوَدَّةِ، يَظْهَرُ حُبُّ اللهِ فِي حَيَاتِنَا اليَوْمِيَّةِ. وَهَذَا مَا يَجْعَلُنَا نَقُولُ بِلا خَوْفٍ إِنَّنَا اليَوْمَ، أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ مَضَى، مُتَحَابِّانَ، بَلْ عَاشِقَانِ. لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَصِفَ مَا تَفْعَلُهُ لِي ((دورا)): إِنَّهَا تُعَلِّمُنِي مَعْنَى المَجَانِيَّةِ فِي الزَّوْجِ. تُرَى، هَلْ يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَخْتَبِرَ المَرَضَ لِكَيْ يَعرِشَ فِي المَلءِ هَذِهِ الأَشْيَاءَ؟ كَلَّا، بِالتَّأَكِيدِ! وَلَكِنَّ الأَكِيدَ هُوَ أَنَّ بَعْضَ الأَوْضَاعِ تَجْعَلُ الإِنْسَانَ أَكْثَرَ انْتِبَاهًا... وَهَذِهِ هُوَ وَضْعُنَا حَالِيًّا.

... هَذَا الوَقْتُ، الَّذِي يَبْدُو أحيانًا وَكَأَنَّهُ لَا يَنْتَهِي، وَأحيانًا أُخْرَى أَنَّهُ يَتَقَلَّصُ وَيَقْصُرُ، هُوَ الوَقْتُ المَلائِمُ لِتَبَادُلِ الكَلَامِ، لِأَنَّ يَاقِفَ الوَاحِدِ أَمَامَ الأَخْرَى عَلَى حَقِيقَتِهِ، لِكَيْ تُظْهَرَ جَمِيعَ الأَشْيَاءِ المَخْفِيَّةِ وَالمَطْوِيَّةِ فِي نَفْسِنَا. إِنَّهُ وَقْتُ يَنْبَغِي البَحْثُ فِيهِ عَنِ التَّوَاصُلِ الهَادِي، الصَّادِقِ، المُسْتَرخِي، وَبِخَاصَّةِ مَعَ الأَشْخَاصِ الَّذِينَ عَرَفْنَا مَعَهُمْ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الصَّعُوبَاتِ.

(برونو و دورا، من فرق السيِّدة)

٣. للتفكير

إِذَا كَانَتِ المَرافِقَةُ فَنًّا، فَلَا بُدَّ مِنْ تَطْوِيرِ ((مَنْهَجِيَّةٍ)) لِمَرافِقَةٍ، وَهَذَا يَعْنِي إِيجَادَ الطَّرِيقَةِ لِكَيْ يَصِيرَ الإِنْسَانُ قَرِيبَ الأَخْرَى، أَكَّانَ الأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِالفَرْدِ أَمْ بِالزَّوْجَيْنِ أَمْ بِالعائِلةِ.

يَنْتَمِي فَنُّ المَرافِقَةِ إِلَى طَبِيعَةِ الإِنْسَانِ بِالأَذَاتِ، الإِنْسَانِ الَّذِي وُلِدَ لِأَجْلِ حَيَاةٍ قَائِمَةٍ عَلَى عِلاَقَاتِ، وَالَّذِي يَشْعُرُ بِالحَاجَةِ إِلَيْهَا. إِنَّ الرِّجَلَ وَالمَرأةَ، فِي مَسِيرَتَهُمَا العِلائِقِيَّةِ الخَاصَّةِ، يَحْتَاجَانِ إِلَى التَّكَائُفِ المُتَبَادِلِ.

➤ اِخْتَبَارِ يَدِ اللهِ الَّتِي تَرافِقُنَا...

الإِنْسَانُ، وَحَدَهُ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَقَدَّمَ فِي الحَيَاةِ. بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَسَانَدَ وَيَتَعَاوَنَ مَعَ إِنْسانٍ آخَرَ. لَقَدْ وَعَدَنَا الرَّبُّ بِأَنْ لَا يَتْرَكُنَا أَبَدًا. وَنَحْنُ نَسْتَشْفُ بِشَكْلِ مَلْمُوسِ حُضُورِهِ فِي الأَخِ مِثْلًا، القَرِيبِ مِنَّا، الَّذِي يَأْخُذُ بِيَدِنَا وَيَتَقاسَمُ مَعَنَا أَفْرَاحَهُ وَأَحْزَانَهُ.

لِكِي نَدْعَ أَنْفُسَنَا نَنقَادُ وَنُرافِقُ، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَّقَ فِي اللهِ وَفِي قَرِيبِنَا.

➤ ... لِكِي نَصِيرَ مُرافِقِي إِخْوَتِنَا

أَنْ نُرافِقَ يَعْنِي أَنْ نَضَعَ أَنْفُسَنَا فِي حَالَةِ إِصْغَاءٍ لِالأَخْرَى أَوْ لِالأَخْرَيْنِ وَخِصُوصًا بِقَلْبِنَا. أحيانًا نُجَازِفُ بِالإِصْغَاءِ بِعَقْلِنَا وَمِنْ ثَمَّ نَعْمَلُ بِحَسَبِ وَجْهَةِ نَظَرِنَا وَقَنَاعَاتِنَا، بِدُونِ أَنْ نَضَعَ أَنْفُسَنَا حَقًّا فِي حَالَةِ إِصْغَاءٍ عَمِيقٍ لِالأَخْرَى أَوْ لِالأَخْرَيْنِ. وَهَذَا الأَمْرُ يَحْصُلُ أَيْضًا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، فِي العائِلةِ، أَوْ فِي الفِرْقَةِ.

يؤكد البابا فرنسيس في ((فرح الإنجيل))، (العدد ٤٥) أنه لا بُدَّ من أن يلتقي الإنجيلُ الأشخاصَ (في حدود الظروف))، أي في أوضاعهم الملموسة المطبوعة بالمحدودية والهشاشة، وغالبًا بالخطيئة أيضًا. كلُّ مَنْ يرغب في أن يصير مُرافقًا لقريبه على درب الإنجيل ((يُدرِك محدوديته ويعتبر نفسه ضعيفًا بين الضعفاء)). وهو ((يسعى دائمًا إلى إبلاغ حقيقة الإنجيل في وضعٍ وظروفٍ محدَّدة، من دون التخلّي عمّا يمكنه أن يحمل من حقيقة وخير ونور عندما يكون الكمال غير مُمكن... فهو لا يتخلّى عن الخير المُمكن، وإن كان عليه التعرّض لخطر التلّخُّ بوخلِ الطريق)).

يقول لنا الأب كافاريل إنَّ ((معرفة الإصغاء هي فنُّ عظيم، فحتى المسيح يُحذّرنا بقوله: 'فأنتبهوا كيف تسمعون' (لو ٨: ١٨). ليس الإصغاء مُجرّد تمرينٍ ذهنيّ. إنَّ كلمة 'أصغى' لا تعني نشاطًا منفردًا بل لقاءً، تبادلاً، قلبًا لقلب: إنَّ صلاة القلب هي جوهرًا هذا الإصغاء)) (دفاتر حول صلاة القلب، ١٩٦٦).

➤ المرافقة الروحية

المرافقة ليست نوعًا من التسامح في عملية (تصفية) أو من الغفران بثمرِ بَخس، الذي، بسبب الهشاشة البشرية، يحدُّ من مستوى التطلُّب الإنجيلي. بالعكس، ((ومع أنَّ الأمر يبدو بديهياً، ينبغي دائماً أن نقودنا المرافقة الروحية أكثر فأكثر إلى الله... تكون المرافقة عكسية المفعول إذا صارت نوعًا من المعالجة التي تقوّي انغلاق الأشخاص على ذواتهم وإذا بطلت من أن تكون طريق حَجِّ مع المسيح نحو الآب)) ((فرح الإنجيل))، (العدد ١٧٠). المرافقُ الجيّد لا يستسلم للقديرة ولا إلى الوجل والتهرّب. إنّه يدعو الآخرين دائماً إلى العناية بالنفس والنهوض من الكبوات ومعاينة الصليب وتترك كلَّ شيء والخروج دومًا من جديد ((فرح الإنجيل))، (العدد ١٧٢). إنَّ اكتفاء الإنسان بالوضاعة لنفسه وللآخرين، مع اتّخاذ الهشاشة البشرية كعُذرٍ، لا تجعلُ منّا ((مُسافرين)) مَجروحين ومُعاقين في الطريق نحو الله، بل أشخاصًا ((تائهين، يدورون حول ذواتهم بدون أن يصلوا إلى أيِّ مكان)) ((فرح الإنجيل))، (العدد ١٧٠).

➤ التّشبه بالمسيح للمرافقة

تتطلّب المرافقة الخصالَ البشريّة النابعة من قلب المسيح حين كان يقترب من الفقراء والمساكين والخطاة والأشخاص الضائعين، وهذه الخصال هي: الانتباه والفهم والحنان. يحضُّنا البابا فرنسيس على أن نتبنّى نحنُ أيضًا هذه الخصال والمشاعر القلبية التي هي في المسيح يسوع. وهو يفعل ذلك ملاحظًا، ليس بدون مرارةٍ معينة، أنّ الرحمة الإنجيلية غالبًا ما تتعرّض للخيانة من قِبَل أشكال من التحدُّر والقساوة تُعتم على البشارة بالإنجيل، وهي تجعلنا نتصرّف كمراقبي النعمة لا كمُسهلين لها. غير أنّ الكنيسة ليست إدارةً جمركية، إنّما هي بيتٌ أبويّ ((فرح الإنجيل))، (العدد ٤٧).

٤ . للمضي إلى الأبعد

المرافقة في (فرح الإنجيل):

((علينا أن نُعطيَ طريقنا إيقاعَ القربِ الخلاصيّ، مع نظرة احترامٍ مُفعمّةٍ بالتعاطفِ والشفقة، نظرة تكون، في الوقت نفسه، شافيةً ومُحرّرةً ومُشجّعةً على النضوج في الحياة المسيحيّة ((فرح الإنجيل))، العدد ١٦٩)).
إنّ كلمات البابا فرنسيس تثيرنا في شأن موضوع العزلة والفردية، اللتين ترافقان غالبًا وجودنا اليومي: ((...نحن في حاجة إلى كنيسة تكون قادرة على أن ترافقنا، وأن تمضيَ إلى أبعد من مجرد الإصغاء، كنيسة ترافق الأشخاص وتسير معهم على الدرب؛ كنيسة قادرة على استكشافِ وفكِّ الغازِ الليلِ القائم في فرار العديد من الإخوة والأخوات من أورشليم؛ كنيسة تدرك أنّ الأسباب التي من أجلها ابتعد الأشخاص تحتوي في ذاتها الأسباب الدافعة إلى رجوعٍ مُحتمَل، إنّما من الضروريّ أن نُحسنَ قراءة كلّ شيء بشجاعة. لقد ألهبَ يسوعُ قلبي تلميذي عمّوس... لذلك يلزمنا كنيسة تعيد الحرارة إلى القلوب وتُلهبها من جديد.

(إلى الأساقفة البرازيليين، ٢٠١٣)

((نُصلي من أجل أن ننظرَ إلى الآخر بعيني يسوع، ولكن يسوع نفسه يدعُ الآخرين يرونه. فعلى الصليب، كان عريانا أمام أعيننا. إنّ عينيّه تخترقان جميع إخفاءاتنا وموارباتنا، إنّما لديه الشجاعة لكي يدعنا ننظر إليه، حتى وهو ميتٌ على الصليب، حين لم يعد بوسعِه أن ينظر بدوره. إنّهُ يستسلم لنظرنا. في الحياة الزوجية أو حتى في الحياة الدينية، نتعلم التبادل في التعاطف. ندعُ أنفسنا نُلمسُ بما يعيشه الآخر. ننظر إليه بعيونٍ مفتوحة. إنّما، علينا أيضًا التجرؤ على القبول بأن ينظرَ إلينا شريكٌ أو شريكةٌ حياتنا. ينبغي ألا نُخفيَ ضعفاتنا وشكوكنا وعدم شعورنا بالطمأنينة والأمان.))

(ت. رادكليف، برازيليا، ٢٠١٢)

حول الموضوع...

إيقونة :.....	((المسيح مع الآبائي مينا))، متحف اللوفر
فيلم :.....	((سنة أخرى)) (Another Year)، مايك لاي، ٢٠١٠
أندريه لوف :.....	((سيرك الفراشة)) (The Butterfly circus)، فيلم قصير، ٢٠٠٩
وظائف العائلة المسيحية ((نور الأمم))	مولودون بالروح القدس، منشورات قيقاجون، ١٩٩٤
رسالة البابا إلى الأسر	

٥. مسارات تفكير للمجاسة

- هل أخلع نعلَيَّ أمام الأرض المقدسة المتمثلة في قريني؟ وفي كل شخص حولنا؟
- هل نعرف كيف ((نرخي قبضتنا)) للتجاوب مع ما لدى الآخر من انتظار الحب بدلاً من التمسك بانتظاراتنا الشخصية؟
- أن أنظر إلى الرب، إلى القرين، إلى الآخر، وأن أدع كلاً من الثلاثة ينظرون إلي...

٦. اقتراح للمشاركة الروحية

هل نضع أنفسنا في حالة إصغاء للرب (عبر صلاة القلب) لمعرفة ماذا ينتظر الرب منا؟ وكيف؟

٧. مسارات لتبادل الرأي في الفرقة

- هل كان لشخص معين أو لعدة أشخاص حضوراً خاصاً ودوراً محدداً في حياتنا الزوجية؟
- كيف أقوم بالمرافقة والشهادة في عائلتي وحولي؟ ما هي العقبات والصعوبات أمام ((السير مع)) الآخر؟
- ونحن شخصياً، هل نقبل بأن نرافق؟ هل نفكر في أن نطلب ذلك؟ هل نتجرأ على طلب ذلك؟
- هل يقودنا الحب الذي يُعَدِّنا إلى أن نُحب من هو في حاجة إلى الحب؟

الإنجيل بحسب القديس لوقا ٩ : ٢٨-٣٦

وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام، مضى يسوع ببطرس ويوحنا ويعقوب وصعد الجبل ليصلي. وبينما هو يصلي، تبدل منظر وجهه، وصارت ثيابه بيضاء تتلألأ كالبرق. وإذا رجان يكلمانه، وهما موسى وإيليا، قد تراءيا في المجد، وأخذا يتكلمان على رحيله الذي سيتم في أورشليم.

وكان بطرس والذان معه قد أثقلهم النعاس. ولكنهم استيقظوا فعانينا مجده والرجلين القائمين معه، حتى إذا همما بالانصراف عنه قال بطرس لیسوع: «يا معلم حسن أن نكون ههنا. فلو نصبنا ثلاث خيم، واحدة لك واحدة لموسى وواحدة لإيليا!» ولم يكن يدري ما يقول.

وبينما هو يتكلم، ظهر غمام ظللهم، فلما دخلوا في الغمام خاف التلاميذ. وانطلق صوت من الغمام يقول: «هذا هو ابني الذي اخترته، فله اسمعوا». وبينما الصوت ينطلق، بقي يسوع وحده، فالتزموا الصمت ولم يخبروا أحدا في تلك الأيام بشيء مما رأوا.

دعوة الزواج

§ ١٢١ - الزواج هو علامة ثمينة لأنه «حين يحتفل رجل وامرأة بسرّ الزواج فإنّ الله، إنّ صحّ القول، (ينعكس) ويطلع فيهما قسامته وسمّة حبه التي لا تُمحي. الزواج هو إيقونة حبّ الله لنا. وبالفعل، إنّ الله هو أيضًا شركة: فالأقانيم الإلهية الثلاثة، الأب والابن والروح القدس، يحيون منذ الأزل وإلى الأبد في وحدة كاملة. وهذا هو بالتحديد سرّ الزواج: الله يجعل من الزوجين كيانًا واحدًا، جسّدًا واحدًا». لهذا الأمر نتائج يومية ملموسة جدًّا، لأنّ الزوجين «بفضل هذا السرّ، قُلبًا مهمّةً أو رسالة حقيقية، من أجل أن يُظهرا، انطلاقًا من أشياء بسيطة وعادية، الحبّ الذي به يُحبّ المسيح كنيسته، ويبدل حياته عنها».

(فرح الحبّ، الفصل ٤)

١. عرض الفصل

نتساءل جميعًا عن معنى حياتنا. يمكننا القول، كمسيحيين، إنّ لدينا دعوة الحبّ، وإنّ هذه الدعوة يجب أن تنمو وتتطور على مدى حياتنا كلّها من أجل أن نُجيب على دعوة الله.

ما معنى أننا مدعوون إلى الحبّ؟

إنّ الإرشاد الرسوليّ ((وظائف العائلة المسيحية)) يُشيدُ بدعوة الإنسان إلى الشركة والحوار مع الله: الله محبّة (١ يو ٤: ٨) وهو يحيا في ذاته سرّ شركة الحبّ الشخصية. وإذ خلق الله هذه الشركة على صورته، وهو يحفظها باستمرار في كيان الإنسان، يُدرجُ الله هذه الدعوة في بشريّة الرجل والمرأة، ويُدرجُ فيهما بالتالي القدرة والمسؤوليّة على الحبّ والشركة ((وظائف العائلة المسيحية))، § ١١). فالحبّ، إذن، هو الدعوة الجوهرية والأوليّة لكلّ كائن بشريّ.

((إنّ الوحيّ المسيحيّ يعرف طريقتين خاصّتين لدعوة الشخص البشريّ إلى الحبّ في كليّته: الزواج والبتولية. فكلّ منهما، الواحد والآخر، في شكله الخاص، هو تجسيدٌ للحقيقة الأعمق في الإنسان: أنّه 'على صورة الله')).

في سنِّ المراهقة، عندما بدأنا نتساءل حول أنفسنا وحول سبب وجودنا، اكتشفنا تدريجيًّا، بالإضافة إلى جسدنا، حياتنا العاطفيَّة وقدرتنا على الإنجاب. لقد اخترنا مختلفَ مراحلِ الحبِّ التي تتراوح بين الحبِّ المُركَّز على نواتنا والحبِّ المتوجِّه نحو الآخر (الحبِّ الغيريِّ).

وبعد أن تزوجنا، صار بؤسنا أن نفهم حقيقة الحبِّ. إنَّ الحصول على سرِّ الزواج يعني أن نضع في تصرُّفِ الله حُبنا الذي يُصبحُ حينئذٍ إعلانًا لحبِّه الإلهيِّ. يُدكِّرنا البابا فرنسيس أنَّ الزَّوجين «بفضل هذا السرِّ، قُلبًا مهمَّةً أو رسالةً حقيقيَّة، من أجل أن يُظهرا، انطلاقًا من أشياء بسيطةٍ وعاديَّة، الحبِّ الذي به يُحبُّ المسيحُ كنيسته». (٢ نيسان ٢٠١٤)

٢. شهادات

❖ أيُّها الأصدقاء الأعزَّاء،

نودُّ، قبل البدء بهذا الاحتفال، أن نُشركم في أفكارنا وتأمُّلاتنا... ولدينا منها الكثير في شأن هذا النهار! كان لدينا، منذ شبابتنا، أحلامٌ ورغباتٌ عديدة... إلَّا أنَّ الوجه القائم بجانبنا لم يكن يومًا مُحدَّدًا تحديداً كافياً، إلى أن تلاقينا. وقد حصل لنا أحياناً أن نفكِّر كما يلي:

كارلو: لو لم ألتق بك أبداً؟

مرتا: لو لم تتقاطع طريقانا؟ لكننا بالتأكيد خسرنا شيئاً هاماً! وكان فات حياتنا شيءٌ عظيم...

ولكن، هل تعلمون، لقد فهمنا أنه ما كان فاتنا النصف الآخر من التقاحة، النصف الذي يتطابق مع الكمال... لا، بل كان فاتني ذلك الذي يختارني! كلَّ صباح، حين نستيقظ من النوم، وكلَّ مساءً، حين نعود إلى البيت تعبانين بعد يوم عمل، وبعد كلِّ مناقشة أو مشاجرة...

اليوم، ها نحن هنا، أمام الله وأمامكم، لكي نقول الواحد إلى الآخر أننا نخترنا واحدنا الآخر...

- أنا، مرتا، أختارك حقاً يا كارلو...

- أنا، كارلو، أختارك حقاً، يا مرتا، وأريدك إلى جانبي...

نحن واثقان بأنكم جميعاً عشتم مسيرتنا، بعضكم عن كُتب، وبعضكم عن بُعد... ونطلب إليكم، اليوم، أن تعيشوا معنا هذه الانطلاقة الجديدة... نحن نعلم أنَّ زواجنا سوف يدوم، وأنه سيكون راسخاً وقويًّا، إذا ما سرتُم معنا!

ليس الزواج مسألةً خاصَّة، إنَّما هو علاقةٌ شخصين يفتحان على العالم، ولذلك نطلب منكم، أنتم عالمنا، أن تبقوا معنا اليوم، وغداً أكثر!

(مرتا وكارلو)

❖ أنا مع رفيقي منذ أكثر من سنتين. وهذا أمرٌ حسن. يحصل لنا، بالطبع، أن نتشاجر، ولكننا إجمالاً متفاهمان جيّداً. ومع ذلك، فإنني أتفاجأ أحياناً بأن أراني أتساءل: ألا يوجد شخصٌ آخر أكثر ملاءمةً لي؟ وإن وُجد، فهل سأكون سعيدة معه؟ كيف أستطيع أن أعرف إن كان هو رجلٌ حياتي؟

(أندريينا)

٣. للتفكير

➤ أن يجد المرءُ هويّته العميقة

لا بدُّ من تفكيرٍ شخصيٍّ لكي نتوصّل إلى أن نفهم مَنْ نحن. لطالما بحث الإنسان عن هويّته العميقة، لكنّه لا يستطيع وحده النجاح في فهم هذا السرِّ إلّا إذا كان في علاقة مع الآخرين. الإنسان، منذ الحبلِ به، يتلقّى الحياة، ثمّ خلال حياته، تستيقظُ هويّته العميقة، وتتكشف له عبر التواصل مع الآخرين. فيولد لديه ما يشبه الدعوة.

هذا الصوت الذي يدعو الإنسان إلى هويّته العميقة يأتي من الله. فالدعوة هي التوصل إلى الاتحاد بإرادة الله. ليست الدعوة تعبيراً عن شيءٍ ما موجودٍ مسبقاً، بل هي اكتمالٌ، مُعطى بالنعمة، لِمَا الإنسان مدعوٌ إلى أن يكونه. غير أنّ السؤال هو: هل سنقبل ذلك؟

➤ مسيرة داخلية

يتعرّض المرءُ باستمرارٍ في حياته للمفاجأة. وتستند مسيرته الأخلاقية على ما هو فعلاً، وليس على ما يتمنّاه، لكي يصير ما يجب عليه أن يكونه. والإنسان مدعوٌ بكلِّ حرّية إلى أن يصير ما هو: فالحياة تفتح له كلّ المُمكّنات. بعبارة أخرى، بوسعنا القول أيضاً إنّ الله، بخلقنا على صورته، يدعو كلّ واحدٍ منّا إلى أن يُعطي هذه الصورة مثالها الخاصّ. هذا ما ينتظره الله ويأمله، وهذه عظمتُ حياتنا ومجازفتها بأن نكون مدعوّين إلى استشارة فرح الله من خلال نوعيّة وسخاءِ جوابنا.

هناك مثالٌ لهذه المسيرة الداخلية نجده في الكتاب المقدّس في قصّة طوبيا وسارة. لقد أسّسا زواجهما على مشروع الله الموصوف في سفر التكوين، وكانا يُدركان أنّ قصّة حُبهما مُطابقة لمشروع الله الخاصّ بهما. وقد ارتكزت حياتهما كزوجين على كلمات الملاك الذي أرسله الله لمرافقة طوبيا، وطلب الملاك إليهما أن يُصلياً معاً قبل اتحادهما. إنّ حضور الملاك يعني أنّ الله حاضرٌ. وطوال القصّة، نرى كيف انطلق طوبيا بناءً لطلب أبيه، وكيف كان يسأل الملاك ويتبع إرشاداته، وبالنهاية، يعود إلى أبيه لكي يقول له: ((تَشَجّع، يا أبت)) (طو ١١ : ١١).

في حالة الدعوة إلى الزواج، إنّ اللقاء بين الرجل والمرأة أمرٌ حاسم. إنّ نقطة انطلاق المسيرة التي سوف تقودهما إلى ان يختارا بكامل حرّيتهما الحياة المشتركة المكرّسة بيسرّ الزواج.

➤ أزمة واقع الدعوة

إنَّ الوقوعَ في الحبِّ لا يؤدي دوماً إلى الزواج: فحُبُّ البداية (إيروس-Eros) يتحوّل، وعندئذ، يكون الوقت ملائماً لمتابعة العلاقة أو لوضع حدِّ لها.

إنَّ قلبَ دعوة الزواج - مثل جميع الدعوات - هو الحبُّ. والحبُّ ليس مجردَ العاطفة والشعور والانفعال. إنّه كلُّ ذلك. لكنَّ الحبَّ الزوجي هو أيضاً قرارٌ واختيارٌ وإرادةٌ ومشروع.

الحياة المشتركة في الزواج تتحدّى وتتخطّى الزمن، في المشاعر وفي الحقائق اليومية. وعيشُ ذلك يُتيح لكلِّ من الزوجين أن يُحقّق ذاته وأن يجد بذلك هويته.

٤. للمضي إلى الأبعد

■ § ١١- إنَّ الرّوجان اللذان يُحبّان ويُنجبانهما ((المنحوتة)) الحقيقيّة الحيّة (لا تلك التي من حجر أو من ذهب التي تحرّمها الوصايا العشر)، القدرة على إظهار الله الخالق والمخلّص. ولذلك فإنَّ الحبَّ الحُصَب يتوصّل إلى أن يكون رمزَ حقائق الله الحميمة (...). في هذا الضوء، تصبح حقيقة الرّوجين الخصبية صورةً لاكتشافِ ووصفِ سرِّ الله الجوهريّ في الرؤية المسيحيّة لسرِّ الثالوث الذي، في الله، يتأمّل الأب والابن وروح الحُبِّ. إنَّ الله الثالوث هو شركة حُبِّ، والعائلة هي انعكاسه الحيّ. وكلمات القديس يوحنا بولس الثاني تُنيرنا في هذا الشأن: ((إنَّ إلَهنا، في سرِّه الأكثر حميميّةً، ليس انعزالاً بل هو عائلة، إذ إنّه يحمل في ذاته الأبوة والبُنة وأساس العائلة الذي هو الحُبِّ. هذا الحُبِّ، في العائلة الإلهيّة، هو الروح القدس)). وبالفعل، ليست العائلة غريبةً عن الجوهر الإلهي نفسه. هذا المظهر الثالوثي في العائلة يجد صورته في اللاهوتي البولسّي حين يجعله الرسول بولس في علاقة مع ((السرِّ العظيم))، سرِّ التّحاد بين المسيح والكنيسة.

(فرح الحُبِّ، الفصل الأوّل)

■ يقول الله: أيُّها الرّوجان المسيحيّان، أنتمّا فخري ورجائي.

عندما خلقتُ السماء والأرض، وفي السماء النيرّات العظيمة، رأيتُ في خلّاتي آثارَ كمالاتي، ووجدتُ أنّ ذلك حسن. عندما غطيتُ الأرض برداء عظيم من الحقول والغابات، ووجدتُ أنّ ذلك حسن. عندما خلقتُ الحيوانات التي لا تُحصى كلاً بحسب صنفه، تأملتُ في هذه الكائنات الحيّة التي تعجّ في الأرض انعكاساً لحياتي الفائضة، ووجدتُ أنّ ذلك حسن.

وحينئذ، تصاعد من خليقتي كلّها نشيدٌ عظيمٌ احتفاليٌّ ومتهلّلٌ يُشيدُ بمجدي وكمالاتي.

ومع ذلك، لم أر في أيّ مكانٍ صورةَ حياتي الأكثرَ خفيّةً، والأكثرَ حرارةً.

وحينئذٍ، استيقظتُ فيّ الحاجةُ إلى أن أكتشفَ أفضلَ ما في ذاتي: فكننُما أنتما أجملَ خليقتي.

وهكذا خلقتُكما، أيّها الزّوجان البشريّان، 'على صورتي كمثالي'، ورأيتُ أنّ ذلك حسنٌ جدًّا. وفي وسط

هذا الكون، حيث تُشيد كلُّ خليقةٍ بمجدي وتحتفل بكمالاتي، تَجَرّ الحُبُّ أخيرًا لكي يكشفَ حُبِّي.

أيّها الزّوجان البشريّان، يا خليقتي الحبيبة وشاهدي المميّز، هل تفهمان لماذا أنتما الأعرُّ عندي بين

جميع الخلائق؟ هل تُدرِكان الرجاء الواسع الذي أضغّه فيكما؟ أنتما تحملان سمعتي ومجدي، وأنتما

للكون علّةُ الرجاء العظيمة... لأنكما الحُبُّ..))

(الأب هنري كافاريل، فرق السيّدة في وجه الإلحاد)

حول الموضوع...

- فرح ورجاء	المجمع الفاتيكاني الثاني:.....
- هنري كافاريل: ((رجلٌ هائمٌ بالله))، فرق السيّدة، ١٩٩٧	جان ألّمان:.....
- مغامرة الزواج المسيحيّ	برناديت وبرنارد شوفيلون:.....
- كلّ يوم يصنعه الله 2012 - Italie - Chaque jour que Dieu fait	فيلم:
- الطريق -إميليو إستيفيز، USA - Emilio Estevez - The Way	
2010	
- لو كارافاج - Saint Louis des Français، Rome, 1599-1600	دعوة القديس متي
أنطونيو سبادارو، القديسة مرتا، ١٩ آب ٢٠١٣	حديث مع البابا فرنسيس

٥. مسارات تفكير للمجالسة

- لنتذكّر يومَ قرّرنا أن نتزوَّج.
- هل نشعرُ أنّ زواجنا يكبرُ في الله، وبالتالي أنّ كلاًّ مِنّا يكبرُ فردياً؟
- إلى أيّ من قيمِ سرِّ الزواج نستند؟ ولكي نكون أمينين لها، ما هي التغييرات التي ارتضيناها؟

٦. اقتراح للمشاركة الروحية

- هل تساعدنا نقاطُ الجهد الملموسة على تمييز دعوة الله لنا كزوّجين؟ وبماذا؟

٧. مسارات لتبادل الرأي في الفرقة

- الزواج ((دعوة))، نداءٌ مُوجَّهٌ من الربِّ إلينا للدخول في تحقيق ملكوته. ما رأيُنا بذلك؟
- كيف نجعل الآخرين حولنا يعون هذه الدعوة؟
- ما هي الطريق التي يدفعنا زواجنا إلى سلوكها؟ ما هي رغبة الله في شأننا؟ ما هي دعوتنا الشخصية كأفراد وكأزواج؟
- بالنسبة إلينا، ما هو التفتحُ الشخصي؟ هل هو في حالة تناقضٍ مع الدعوة أم إنّه يُنجم عنها؟

سفر التكوين ١: ٢٦-٢٨

وقال الله: «لنصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا وليتسلط على أسماك البحر وطيور السماء والبهائم وجميع وحوش الأرض وجميع الحيوانات التي تدب على الأرض». فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم: «انموا واكثروا وأملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على أسماك البحر وطيور السماء وكل حيوان يدب على الأرض».

سفر التكوين ٢: ٢٢-٢٥

وبنى الرب الإله الصلح التي أخذها من الإنسان امرأة، فأتى بها الإنسان. فقال الإنسان: «هذه المرّة هي عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تسمى امرأة لأنها من امرئ أخذت». ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً. وكانا كلاهما عريانين، الإنسان وامرأته، وهما لا يخجلان.

التربية على الأمانة

§ ٦٢- ذَكَرَ آباءُ السِينُودِسِ بَأَنَّ يَسُوعَ، إِذْ يَشِيرُ إِلَى الْقِصْدِ الْإِلَهِيِّ الْأُولِيِّ حَوْلَ الرَّوَجِينَ الْبَشَرِيِّينَ، (...) يُؤَكِّدُ مُجَدِّدًا عَلَى الْوَحْدَةِ الَّتِي لَا تَنْفَصِمُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، مَعَ قَوْلِهِ إِنَّهُ ((مِنْ أَجْلِ قِسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ رَخَّصَ لَكُمْ مُوسَى فِي طَلَاقِ نِسَائِكُمْ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ مُنْذُ الْبَدَءِ هَكَذَا (مت ١٩ : ٨). إِنَّ عَدَمَ انْفِصَامِ الزَّوْجِ ((مَا جَمَعَهُ اللَّهُ فَلَا يَفْرَقُنَّهُ إِنْسَانٌ)) (مت ١٩ : ٦) يَجِبُ أَلَّا يُفْهَمَ كَأَنَّهُ ((نِيْرٌ)) مَفْرُوضٌ عَلَى الْبَشَرِ، بَلْ بِالْحَرِيِّ كَأَنَّهُ ((عَطِيَّةٌ)) مَمْنُوحَةٌ لِلْأَشْخَاصِ الْمُتَّحِدِينَ بِالزَّوْجِ. (...) إِنَّ التَّنَازُلَ الْإِلَهِيَّ يِرَافِقُ دَوْمًا طَرِيقَ الْإِنْسَانِ، فَهُوَ بِنِعْمَتِهِ يَشْفِي وَيُحَوِّلُ الْقَلْبَ الْقَاسِيَّ مُوجِّهًا إِيَّاهُ نَحْوَ أَصْلِهِ، عَبْرَ دَرَبِ الصَّلِيبِ. وَتُبْرِرُ الْأَنْجِيلُ بوضوحٍ مِثْلَ يَسُوعِ الَّذِي (...) أَعْلَنَ الرِّسَالَةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِمَعْنَى الزَّوْجِ عَلَى أَنَّهُ مَلَأَ الْوَجِي الَّذِي يَتِيحُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَجِدَ مَشْرُوعَ اللَّهِ الْأَصْلِيَّ (راجع مت ١٩ : ٣)).

(فرح الحب، الفصل الثالث)

١. عرض الفصل

إِنَّ الْحَبَّ الْبَشَرِيَّ، بِصِفَتِهِ رَمَزَ الْعَهْدِ بَيْنَ اللَّهِ وَشَعْبِهِ، يَأْخُذُ بَعْدًا إِلَهِيًّا: فَيَصِيرُ الرَّابِطَ غَيْرَ الْمَنْفَصِمِ الَّذِي يُؤَخِّدُ شَخْصِينَ. وَالْأَمَانَةُ الَّتِي تُتْرَجَمُ هَذَا الرَّابِطَ هِيَ مَقْدِمَةٌ لِمَعْرِفَةِ اللَّهِ مَعْرِفَةً حَقِيقِيَّةً. الْأَمَانَةُ لَيْسَتْ الْحِفَاطُ عَلَى الْعَهْدِ وَالِاتِّزَامِ فَحَسْبُ، بَلْ وَتَجْدِيدُهُمَا أَيْضًا. وَهِيَ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرَّوَجِينَ، الْقِيَمَةُ الَّتِي تَعْبَرُ عَنْ دَعْوَتِهِمَا. الْأَمَانَةُ الْجَنَسِيَّةُ هِيَ النَّتِيجَةُ الْمُنْطَقِيَّةُ لِأَمَانَةِ أَعْمَقٍ وَأَكْثَرَ تَجَدُّرًا، وَيُمْكِنُ بِالْتَالِيِ الْقَوْلِ إِنَّهَا أَكْمَلُ.

هَذِهِ مَسِيرَةُ مَزْرُوعَةٍ بِالْعَقَبَاتِ وَالصَّعُوبَاتِ؛ فَكُلُّ مَا يَجْعَلُ الْفَرْدَ يَنْغَلِقُ عَلَى نَفْسِهِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَنْفَتِحَ عَلَى الْكِيَانِ الرَّوْجِيِّ يَتَعَارَضُ مَعَ الْأَمَانَةِ: مِثْلًا، الْأُنَانِيَّةُ، وَالْغَطْرَسَةُ، وَاللَّامْبَالَاةُ، وَعَدَمُ الْإِهْتِمَامِ بِالْآخِرِ وَبِمَصِيرِ الْكِيَانِ الرَّوْجِيِّ، وَصَعُوبَةُ التَّوَاصُلِ الْحُرِّ الْمُنْفَتِحِ. إِنَّ كَفَّ أَحَدِ الرَّوَجِينَ عَنِ التَّصَرُّفِ كَجَزءٍ مِنَ الْكِيَانِ الرَّوْجِيِّ وَالتَّهَرُّبِ مِنَ الْمَسْئُولِيَّاتِ الْمَشْتَرَكَةِ هُمَا الْوَهْمُ بِحُرِّيَّةٍ أَبَدِيَّةٍ وَغَيْرِ مَشْرُوطَةٍ. إِنَّ انْتِظَارَاتِنَا تَجَاهَ الْحَبِّ كَبِيرَةٌ جِدًّا، وَلِذَلِكَ نَحْنُ نَعْرِفُ بِالضَّرُورَةِ الْخِيَابَاتِ وَالْجِرَاحِ وَالسَّقَطَاتِ. فَالْحُبُّ، عِنْدَمَا يَتَعَرَّضُ لِلْهَجُومِ، يَجِبُ أَنْ يَجِدَ مَنْ يَدَافِعُ عَنْهُ وَيَقْوِيهِ وَيُجَدِّدُهُ.

❖ لقد خُنتُ ميمو، ولم أكن له وفية !

(إني أدرك ما أقول، وأودُّ أن يُصغي ميمو إليّ بدون قساوة. لقد خُنتُه في كلِّ مرّةٍ لم أستقبله كشخص، كزوج، كحبيب، وكأب. خُنتُه عندما كنتُ أمًّا فقط ونسيْتُ أنني أولاً صديقته وزوجته. خُنتُه حين سمحتُ بأن يكون عملي أهمّ من علاقتنا، حين حضرتُ له عشاءً بلا طعامٍ ولا خُب، حين كان شعري يبدو - وهو بالفعل - نُعبًا أكثرَ مِنِّي. خُنتُه حين كان كسلي الغريزيّ المزمِن يُحوّل صالوننا إلى غرفةٍ كبيرةٍ للغسيل ملأى بسلال الملابس وطاولة الكوي التي تنتظر من يهتمّ بها. خُنتُه حين كنتُ أنهمك بإزالة آخر حبة غُبار، وأتركه يتأمّل وحيدًا غروب الشمس عبر النافذة. خُنتُه حين كنتُ أزججه بحيويتي المُفرطة، مضحيةً بإرادته في أن يكون كتومًا. خُنتُه حين كانت شراييتي تصير بديهيةً.

'ليست حقيقة الآخر في ما هو مرئيّ، وإنما في السرّ. وبالتالي، إذا أردت أن تفهمه، فلا تُصغِ إلى ما يقوله فقط، بل أصغِ أيضًا إلى ما لا يقوله' (لويجي فيردي).

يكون المرءُ أمينًا عندما يتقدّم في هدوء، حتى ولو كانت الأعينُ لا ترى والحواس لا تُحسّ والمشاعر لا تتبض. فنحن حاضرون هنا لكي نتمسك بحزمٍ بشيء ما نواصل الإيمان به. تبدو الأمانة ساكنة بلا حركة، لكنّها تتقدّم. إنّها تبدو ساكنة لأنّها تتحرك ببطء في العتمة وبدون إشارات ظاهريّة. أن يبقى المرء أمينًا هو فقط، وببساطة، وإرادياً، أن ينتظر من يُلاقيه. إنّ مراحل الفراغ والألم وعدم الفهم في حُبنا هي المراحل التي سمحت لعلاقتنا بأن لا تتوقّف، بل بالعكس، بأن تتطوّر إلى أشكالٍ جديدة من اللقاء وبأن تتقدّم إلى الأمام.))

(فرنشسكا وميمو، فرق السيّدة)

إنّ كلمة «أمانة» (Fidélité) تشتق من كلمة «إيمان» اللاتينية (Fides). والإيمان يعني الانضمام المتماusk والثابت إلى شيء ما، إلى التزام معيّن، إلى شخص محدد. تجد الأمانة تعبيرها الأكمل في الأمانة بين الزوجين، من خلال الحصريّة والوحدانيّة في علاقة الحبّ المكرّس بالزواج.

في اللاهوت المسيحي، إنَّ أمانة الله لوعده الخلاص الذي قطعَه لأولاده هي التعبير الأسمى لمحبتته لنا. حُبٌّ راسخٌ قويٌّ نهائيٌّ، حُبٌّ يقدِّم لنا ذاته كهبة أو هدية، بدون أن يطلب منا إلا أن نتقبَّله. أمَّا اليوم، فعلى العكس، تجدُ فكرةَ العطاء أو الهبة صعوبةً في أن تترسَّخ، وتتركُّ محلَّها لفكرةٍ هي أن الأمانة تُستحقُّ استحقاقًا. وهكذا، عندما يتصرَّف الآخرُ بطريقةٍ تُظهر أنه لم يعد يستحقُّ هذه الأمانة، يشعر المرءُ بأنَّ من حقِّه أن يحلَّ رباطَ الأمانة.

يُظهر الله لنا ماهيةَ الأمانة: فلِكِي نكبُر في الأمانة، علينا أولاً أن نطلب من الله عطيةَ الإيمان، حتى قبل أن نطلب منه عطيةَ الأمانة. وعلينا أن نُقوِّي أمانتنا لله. وفي هذا المعنى، يُشكِّل سرُّ الزواج لِوحدِهِ قوَّةً تسنِّدُ الزَّوجين وإرادتيهما للبقاء معًا في الأمانة، باحترامهما الحُبِّ الذي وعدا به واجدُهما الآخر.

فالحبُّ ليس مُجرَّد شعور، بل هو الجواب على دعوةِ العطاء المتبادلة. الحبُّ هو القدرة على أن يقرَّر الزَّوجان عطاء الذات المتبادل بشكلٍ نهائيٍّ وحصريٍّ لمدى الحياة. إنَّ الذي يعدُّ للأبد هو وحده الذي يُعرب عن ثقته بالآخر، وبذلك الذي يهبُه ذاته بذاته. فالثقة والأمانة يسيران معًا.

➤ الأمانة تجاه الذات

نسعى طوال حياتنا إلى تحقيق ذاتنا، أي إلى تنمية كلِّ ما فينا. هذا يعني أنه علينا، كمسيحيين، أن نتقدَّم في الحياة متوجِّهين بحسب إرادة الله.

إنَّ التربية على الأمانة للذات ليست قيمةً أنانيةً، بل هي قيمة اجتماعية، لأنَّه عندما يكتشف شخصٌ ذاته، فهو يُعني الجماعةَ كلَّها. هناك أغنية مشهورة لمؤلِّفٍ إيطاليٍّ تقول: ((أومنُ بالكائنات البشرية الذين لديهم الشجاعة لكي يكونوا بشرًا)). هذه طريق مختصرة للقول بأنَّ الأمانة للذات تكون قائمة عندما ننفتح وننمو وفقًا لمشروع الله.

➤ الأمانة تجاه الآخر

هناك ثلاثة مظاهر للأمانة للآخر يجب أن تؤخَّذ بالاعتبار من أجل احترامها احترامًا حقيقيًّا:

- أمانة لاختلاف الآخر. يجدر بنا أن نقبل الآخر المُختلف عنَّا، من دون أن نُبقِيه على مسافةٍ منَّا عبر ردة فعلٍ دفاعية، ومن دون أن نسعى إلى أن نجعله مُشابهًا لنا. الأمانة للآخر تعني إذن، قبل كلِّ شيء، الاحترامَ لِغَيْرِيَّتِهِ واختلافِهِ عنَّا. إنَّ القرين الذي يساعد القرين الآخر على تحقيق ذاته، مُتَحَطِّيًا كلَّ شكلٍ من أشكال المنافسة، هو قرينٌ أمين.

● أمانةٌ لمصير الآخر. فنحن نُحِبُّ شخصًا، لا من أجل ما هو حاليًّا فحسب، وإنما أيضًا من أجل ما سيصيره على مدى وجوده. فالماضي والحاضر والمستقبل هي كلها مكوناتٌ لشخصيته الواحدة. (إنَّ الرجل والمرأة، بارتكازهما على هذا الحبِّ، يستطيعان أن يَعدَّ أحدهما الآخر بحُبِّ مُتبادلٍ بحركةٍ تُلزم حياتهما كليًّا (...)). يكون الوعدُ بحُبِّ دائمٍ مُمكنًا عندما نكتشف قصدًا أكبرَ من مشاريعنا الخاصَّة، قصدًا يَسُنِّدنا ويُتيح لنا بأن نُعطيَ مستقبلنا كُلَّهُ للشخصِ المُحِبِّ (البابا فرنسيس، نور الإيمان، ٥٢٨)

● أمانةٌ لابتعاد الآخر. فالآخر يبقى دائمًا آخر. كتب ليفيناس (Levinas): «نحن مدعوون إلى أن نُحِبَّ الآخر بدون أن نفهمه، قبل أن نفهمه، ومن دون أيَّة حاجةٍ إلى أن نفهمه». (إنَّ كلمة «نفهم») تعني هنا أن نستبطن، أن نأتي بالآخر إلى داخلنا، فهي تشير إذن إلى موقفٍ من يريد أن يختصر الآخر ويستوعبه داخل فهمه: الآخر، بالعكس، لا يمكن فهمه أو الإمساكُ به أو حصره أو أسرُه.

● إنَّ الزوجين الأُميين يَشْهَدان لأمانةِ الله الذي يغفر لجميع أولاده ويَقْبَلهم، بانتظار رجوعهم إليه.

● بوسع الزوج والزوجة أن يعيشا حالاتٍ يوميةً من عدم الأمانة. فكلُّ من الاثنین يُطالب، بطريقة واعية أو لاواعية، بمساحةٍ خاصَّة حصريةٍ وفرديةٍ. إنَّ أشكال الخيانة وعدم الأمانة متعدِّدة، وهي ليست بالضرورة مرتبطةٌ بالحياة الجنسيَّة. إذ يمكن أن يدخل الزوجان في أزمة، أو أن يُنكِرَ أحدهما الآخر، أو أن يُفَرِّقا الانفصال. الطريق الوحيد لتغيير المسار هو القدرة على الغفران. فالغفران هو الحُبُّ الأقوى من الشرِّ.

➤ الأمانة تجاه الآخر كليًّا (أي الله)

خلق الله الرجل والمرأة وعهدَ إليهما بالخلقة كُلِّها. وأقام بذلك عهدَ ثقةٍ مع البشريَّة. فالإنسان مع الله شريكان في الخلق (من البدء وعلى الدوام).

الله أبُّ اختار أن يُحِبَّ وألَّا يقطع علاقته مع الإنسان. إنَّ رابطَ الأمانة للآخر كليًّا (أي الله) تبدأ وتنتهي في جنَّةِ عدن. وأمانة الإنسان تجاه الله هي جوابه على العمل الإلهي.

(إنَّ تاريخ الخلاص كُلِّه هو كشفٌ تدريجيٌّ لأمانة الله هذه، بالرغم من خياناتنا وإنكاراتنا، وفي اليقين بأنَّ (عطايا الله ودعوته لا رجعةَ فيها))، كما أعلنه الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومة (رو ١١ : ٢٩)) (بندكتُّس السادس عشر، ٣٠ أيار ٢٠١٢).

إنَّ أمانةَ الله تنعكس في أمانة الرّوجين.

٤. للمضي إلى الأبعد

■ وحده الغفران الحقيقي، الذي هو ثمرة حُبٍ طاهرٍ جدًّا، يستطيع أن يفجر نبعًا حيًّا في قلب الشخص غير الأمين، وأن يلد من جديد مَنْ أخفق في الحُبِّ، وأن يجعله يولد مُجددًا إلى الحُبِّ. بالنسبة إلى الله أيضًا، وبالنسبة إلى الله أولًا، أن تغفر يعني أن تُحِبَّ، أن تُحِبَّ حُبًّا بحيث ينبس من ظلمة النفس وقذارتها حُبَّ جديدٍ كليًّا يُطهِّرها ويحوِّلها ويقودها نحو كمالٍ جديدٍ كليًّا. (هنري كافريل، على مفارق الحُب)

■ § ٦٦- (إنَّ عهد الحُبِّ والأمانة الذي تعيش منه العائلة المقدَّسة في الناصرة تُثيرُ المبدأ الذي يُعطي شكلاً لكلِّ عائلةٍ ويجعلها قادرةً على أن تواجه بشكل أفضل صروف الحياة وتقلبات التاريخ. على هذا الأساس، تستطيع كلُّ عائلة، بالرغم من ضعفها، أن تصير نورًا في عتمة العالم، «أمثلةً في الحياة العائليَّة. فلنُعلِّمنا عائلةً الناصرة ماهية العائلة وشركة حُبِّها، وجمالها الصارم والبسيط، وطابعها المقدَّس المتعذِّر انتهاكُه؛ ولننعلِّم من عائلة الناصرة ما في التنشئة التي نتلقاها في العائلة من وداعة وفراة؛ ولننعلِّم ما هو دور العائلة الأوليِّ على الصعيد الاجتماعيِّ») (بولس السادس، خطبة ملقاة في الناصرة، ١/٥/١٩٦٤)).

(فرح الحُبِّ، الفصل الثالث)

حول الموضوع...

الرسالة العامة ((الله محبة))	البابا بندكتُّس السادس عشر:
((نور الإيمان))	البابا فرنسيس:.....
Le Collier rouge, Ed. Gallimard, 2014 ((العقد الأحمر))	جان - كريستوف روفان:.....
يوسف وزوجة فوتيفار، باتيستيلو كاراشيولو	رسم:.....
هاتشي Hatchi – de Lasse Hallström, 2009	فيلم:.....
الأمانة La Fidélité – de Andrzej Zulawski	

٥. مسارات تفكير للمجالسة

- كيف نعيش الأمانة كلَّ يوم: احترام القرين في أمور الزواج الأساسية كما في الأشياء اليومية الصغيرة؟
- لا ننسينَّ أبدًا: كيف أكون حقًا أمينًا لزوجي أو زوجتي وفي الوقت نفسه حُرًّا في العمق؟

٦. اقتراح للمشاركة الروحية

أمانتنا لواجب المجالسة.

٧. مسارات لتبادل الرأي في الفرقة

- كيف تتربط، في الحياة العادية، الأمانة لله وللزوج وللذات وللآخرين؟
- هل نشعر بأن الله هو دائمًا إلى جانبنا؟ هل نستشِفُّ أمانته المطلقة في حياتنا؟
- هل أنا أمينٌ لذاتي وللتزاماتي العميقة؟
- كيف أصير دائمًا أكثر أمانة في العمق؟
- تقوم الأمانة على أن نختار أنفسنا مجددًا كلَّ يوم؛ كيف نعيش ذلك في حياتنا المتطورة تطوُّرًا ثابتًا؟
- إلى أية إبداعية يتعين علينا اللجوء؟ ينبغي أن نعيد التفكير في الأمانة، وأن نضع لأنفسنا سياجياتنا الخاصة، وأن نساعد أنفسنا.

هوشع ٢: ١٥ج-١٧ اب و ٢١-٢٢

يقول الرب:

«لذلك هاءنذا أستغويها،

واتي بها إلى البرية،

وأخطب قلبها ...

فتجيب هناك كما في أيام صباها، وفي يوم صعودها من مصر ...

وأخطبك لي للأبد،

أخطبك بالبر والحق والرفقة والمراحم.

وأخطبك لي بالأمانة،

فتعرفين الرب.»

هشاشة الزوجين والعائلة

§ ٥٧- أشكر الله على أن الكثير من العائلات، البعيدة عن اعتبار نفسها كاملة، تعيش الحب وتحقق دعوتها وتمضي قُدماً، حتى وإن كانت تتعثر غالباً على الطريق. إن نموذج العائلة المثالية لا ينتج عن الأفكار المَجمِعة، إنما يتصاعد منه مُلصقٌ (collage) يشكّل نداءً، وهو يتألف من عدّة حقائق مختلفة، ملأى بالأفراح والمآسي والأحلام. إن الحقائق التي تُشغّلنا هي تحديات. فلا نَعْنُ في فخِ استنفاد أنفسنا في مَنَاحَةٍ للدفاع عن النفس بدلاً من إيقاظِ إبداعيةٍ رسوليةٍ. في جميع الأوضاع، (تسعر الكنيسة بضرورة أن تقول كلمة حقٍّ ورجاء (...)). إن القِيمَ الكبرى للزواج وللعائلة المسيحية تلائم البحث الذي يجتاز الوجودَ البشريَّ)). وإذا كنّا نرى الكثير من الصعوبات، فإنها -كما قال أساقفة كولومبيا- دعوةٌ إلى (أن نُحرّرَ فينا طاقاتِ الرجاء، وأن نُترجمَها إلى أحلامِ نبويةٍ وأفعالٍ مَحْوِلةٍ وإلى مُخَيِّلةٍ للمحبة)).

(فرح الحب، الفصل ٢)

١. عرض الفصل

إنّ قناعات الإنسان تتلاشى، وبعض الأشخاص لم يَعُدْ لديهم قناعات، وأوضاع الهشاشة تتزايد. ففي مواجهة ذلك، يدعو البابا فرنسيس إلى الدخول في منطق الرحمة، لإعادة إعطاء اليقين بأنّ الحب سيساعدنا على تحطّي الصعوبات.

يَحُضُّنا السينودس على التعمُّق في خيار سرِّ الزواج، الذي يستلزم انضمام القلب انضماماً كلياً.

يُمكننا أن نرى في هشاشتنا الشخصية والزوجية مناسبةً للتوبة، لأنّ الله يركز عليها لبناء القداسة.

هناك نوعان من الخطر يُهدّدان الكيان الزوجي: صعوبات الحياة، الصغيرة منها والكبيرة، والوقائع التي لا تتعلق بإرادتنا لكنّها تؤثر على علاقة الحب التي تربطنا بالله. يستطيع الحب الزوجي، المُقَوَّى بالحبّ الإلهي، أن يتغلّب على هذه الأزمات. هذه رسالة رجاءٍ كبيرةٍ تستند إلى محبة الله العظيمة. فببقائنا في هذه المحبة، نستطيع مواجهة هشاشاتنا وقبول هشاشاتِ قريننا وسائرِ رفاقِ دربنا. كما نستطيع النجاح في عدم إدانة الآخر لأخطائه.

تُظهر الشهادة خبرةً بشريةً عاشها شخصٌ معين، في وقتٍ محدّد، وفي وضعٍ خاص. الشهادتان التاليتان تعكسان وقائع حياتيةً مختلفةً جدًّا.

➤ (لقد تزوّجنا أندريا وأنا في الكنيسة منذ ١١ سنة، بعد أن تابَعنا مسيرة إيمانٍ طويلة كان إيماننا خلالها قويًّا... وبعد ٧ سنوات، انفجرتِ الأزمة! كم من الأسئلة طرَحناها آنذاك، من بينها: لماذا نحن؟ أين أخطأنا؟... وقد فكّرنا: ولكن، هذه ليست المرأة التي تزوّجتها، وهذا ليس الزوج الذي اخترته. كنّا نمثّل الواحدُ للآخر انتظاراتنا الفائتة فقط، وكانت علاقتنا نتيجة خيبةٍ كبيرةٍ تحملنا إلى إضمارِ شعورٍ بالغضب كان قد تغلّب على كلّ شيءٍ فينا، وأصبح يُبعدنا بعضنا عن بعض، حتى إنّ التواصلَ بيننا لم يُعد مُمكنًا. وقد أدّى بنا كلُّ ذلك إلى انفصال واضح ومؤلم كان يعيش فيه كلُّ واحدٍ منّا في العتمة، فوصلنا إلى الفقر، إلى غاية التعاسة. في هذا الوقت، بدأنا مسيرة الصعود، إنّما كلُّ واحدٍ من جهته، لأننا كنّا قد أجرينا محاولاتٍ عديدةً للمعالجة الرُّوجية لم تؤدِّ إلى نتيجة ملموسة.

في هذه المسيرة، وبالموازاة مع العلاج النفسي، كُنّفنا إيماننا، وبالتالي، توطّدت علاقتنا بالله. كما لجأنا مرارًا إلى طلب المساعدة من المرشدين الروحيين، فحصلنا على أجوبة عديدة ساعدتنا في العودة إلى الطريق الصحيح.

هاتان المسيرتان المتوازيتان أتاحتا لنا النجاح في استشفاف القليل من النور... ثمَّ شعزنا، خلال مسيرة الرجوع إلى الإيمان، بأننا محبوبان ومقبولان من قِبَل الرّبِّ بالرغم من محدودياتنا وضعفاتنا وأخطائنا البشرية. وبعد شعورنا بحُبِّ الرّبِّ وغفرانه، استطعنا أن نعيش الغفران المتبادل، ونصجّ ضميرنا، وهذا ما أتاح لنا أن نجد أنفسنا، بعد مرور عامين على هذه الأزمة، بقلبٍ متجدّدٍ وحُبِّ متبادلٍ استطاع أن يطفو على السطح من جديد. فعاوَدنا السير في هذه الطريق الرُّوجية بضميرٍ مختلفٍ عمّا كان لنا في السابق.) (فيدريكا وأندريا، اللقاء المستعاد)

* * *

❖ «أُدعى (آنا). وأنا منفصلة عن زوجي منذ خمس سنوات. وليّ ابنةً من هذا الزواج. حاليًا، أعيش مع رجلٍ آخر، في الفرح وفي الألم، في الصحة وفي المرض، حتى ولو كنا غير مُرتبطين بالزواج.

كان الطريق الذي قادني إلى قرار الانفصال صعبًا وطويلاً، طويلاً جدًّا: عشر سنواتٍ من المحاولات والآمال والجهود والخيبات والابتسامات والدموع. لم يؤخِّدِ القرارُ «بخفة»، ولم يكن سهلاً.

وقد جرّينا معنا إلى الهوةِ ابنتنا وعائلتنا وعالمنا والقيم والقناعات التي لم تُعد بعد ذلك موجودة.

إنّ المُثول أمام الجماعة المسيحية التي ترعرعتُ فيها لم يكن أيضًا سهلاً. لقد وجدتُ نفسي ونظرتُ إليها وكأني صرْتُ «خارج» قواعد الكنيسة، وشعرتُ وكأني «الزانية» التي تحدّث عنها الإنجيل. إنّ معلّمة التعليم المسيحيّ للأولاد، ومُنشِطة الرعيّة، والاحتفالات المُعاشة مع الخورس، وتحضيرات الأولاد للأسرار المقدّسة، وجميع هذه الكلمات الجميلة... هل كانت مُجرّد كلمات؟ كيف كان باستطاعتي، في هذا الوضع، أن أمثّل أمام الجماعة المسيحية؟

لقد عرّفتُ احتضان أمّنا الكنيسة لي في حميميّة كرسّي الاعتراف. واستقبلني وأصغى إليّ آباءٌ جديرون بأن يجعلوا رحمة الأب السماويّ ملموسةً. لكنهم رَفَضُوا منحِي الغفران، غير أنّي حصلتُ على العطية الكبرى بأن سُمح لي بالمناولة الإفخارستية في أثناء الاحتفال بالمناولة الأولى لابنتي وتبنيها، وفي عيدي الميلاد والفصح. وبقلبٍ مُفعمٍ بالفرح، وفي إعادة اكتشاف عظيمة أن أكون مهددةً في قلب حُبِّ الله، تعلّمتُ:

أَنَّ المحبّة هي نظرةٌ مُبتسمة ومُرَجَّبة ينبغي إعطاؤها واستقبالها أبعَدَ من جميع الأوضاع التي تمنحنا الحياة أن نعيشها؛

أَنَّ المحبّة تعني الجلوسَ بقرْبِ شخصٍ وجعله يشعر ويعرف أننا «هنا»؛

أَنَّ المحبّة تعني الاقترابَ من الآخر في صمتٍ يَسْتَقْبِلُ وَيَقْبَلُ بدون أن يُدين، ويُحسِّنُ الإصغاء؛

أَنَّ المحبّة تعني الهروبَ من الأحكام المسبّقة وفتح القلب لقلبٍ مجروح؛

أَنَّ المحبّة تعني الغفران. وأن نغفر، قبل كلّ شيء، لأنفسنا.»

(آنا)

➤ **ضعفات وهشاشات الزوجين والعائلة**

إنَّ تطويرَ نزعةٍ فرديَّةٍ مُتفاقمةٍ يُشوِّه طبيعةَ الروابط العائليَّة، وعدمَ اتِّباع المرءِ سوى رغباته الخاصة يُهدِّد العلاقات مع الآخرين، والعقليَّة المضادَّة لزيادة الأَوْلاد واعتبارِ الجسد سلعةً والفصلِ بين الحياة الجنسيَّة والإنجاب، لها انعكاساتٌ على الحياة الاجتماعيَّة. فالمناخُ الذي نعيش فيه لا يلائمُ الزوجين ويضُرُّ بنتَهما.

يُضاف إلى ذلك أزمةُ الإيمان التي تمسُّ العديد من المسيحيِّين والتي هي غالبًا في أصل أزمات الزواج والعائلة. وهكذا يصير الزواج، أكثر فأكثر، «اتِّفاقًا» أو «عقدًا» قابلاً للانحلال بسهولة. إنَّ خيار الزواج، عند القيام به، يحصل أحيانًا بحُكم العادة أو التقليد، بدون دافعٍ حقيقيِّ.

هناك هشاشاتٌ داخل الزواج والعائلة تتعكسُ على الخارج. والهشاشةُ البشريَّة، بأشكالها المتعدِّدة، تُقابل عادةً بنوعٍ من الاستسلام، باعتبارها مساحةً تظهُر فيها محدوديةُ الإنسان. فالجهدُ إذنٌ يتمثَّل في الخروج منها ببساطةٍ وتخطِّي الأوضاع المتنوعة بأفضل ما يمكن.

إنَّ البابا فرنسيس، بدعوته الملحَّة إلى الرحمة، يقودنا إلى تفسير الهشاشة على أنَّها المكان الذي تظهُر فيه وتعمَلُ قوَّةُ الله المُحرِّرة. وبذلك، تُصبح الهشاشة مساحةً خلاصٍ تُشَدِّدُ على عَمَلِ الله الذي سيتحقَّق تحديدًا حيث يَنهزم الإنسانُ ويختبر فقره.

➤ **هشاشاتٌ تُحَفِّرنا**

يمكن أن تصير هشاشاتنا مُحَرِّكًا نُموِّنا في الحبِّ، إذا اعترفَ بها الزوجان وتقبَّلا ببساطة، وتقاسماها، وحمَّلاها في الصلاة. فاعترافُ الإنسان بهشاشته هو الخطوة الأولى لكي يستطيع طلبَ المساعدة من الآخر وقبولها. هذا ما يُغيِّرُ أفقَ نظرِنا إلى الآخر، فنُعترف بأننا لا نستطيع الوصول وحدنا إليه، وخصوصًا بأننا في حاجةٍ إلى محبةِ الله. فأن نحيا من حُبِّ المسيح نفسه يمكن أن يَمُنحنا فرحَ السير معًا برغم الصعوبات.

في هذه الأيام، إنَّ الطابع الفرديَّ للمشاعر ومفهومَ الزواج على أنَّه مجردُ عَقدٍ، هما في أصل هشاشة الأزواج. فعندما يتعطلُّ أحدُ بنود عقد الزواج لا يعود هناك سببٌ لبقاء الزوجين معًا، وتُصبحُ العلاقات عرضةً للنزاع والخصام، فيحاولُ كلُّ واحدٍ التَّشبُّثَ بحقوقه الخاصَّة.

في المقابل، إنَّ ممارسة الغفران تُبقينا دائماً منتبهين وجاهزين الواحد للآخر. فالمغفرة تتيح لنا أن نقبل الآخر وأن ننظر إليه في العمق.

➤ تَحَدِّ للجماعة المسيحية

العائلة المسيحية هي شهادة تَظْهَرُ حاليًا كَتَحَدِّ، يُثير الحسد، لأنَّه قادرٌ على إعطاء معنى للحياة البشرية. الزواج هو المكان الذي تنفتح فيه البشرية على حياة غنية بالمعنى. وهو اختبارٌ يحرك العاطفة والمسؤولية والضمير.

إنَّ الهشاشة تصبح تحدِّيًا للجماعة المسيحية في قدرتها على القبول والمساندة. وأمام الأوضاع العديدة للأزواج المنفصلين والمُطلَّقين، علينا الاقتراب من الأشخاص بدون أن ندينهم. فالمحبة تستلزم القرب والتعاطف مع جميع المتألمين كما تتطلب الابتهاج والفرح مع جميع السعداء.

وهذا الأمر يجب أن يحفزنا لكي نجد الطريقة المناسبة للقاء بالأزواج العديدين الذين يعيشون المُساكنة أو المتحدين بالزواج المدني فقط، من أجل أن ننقل إليهم بُشرى الزواج الحسنة، من خلال السعي هنا أيضًا إلى رؤية الخير الحاضر في هذه العلاقات وإلى أن نقول لهم بحياتنا أن هناك خيرًا أعظم أيضًا ينتظرهم. نعرف غالبًا، وبشكلٍ متزايد، الأوضاع الصعبة التي يعيشها الأزواج الذين تربطنا بهم صلة وثيقة أو الذين هم من عائلتنا، أو حتى من فرق السيدة. فلا بُدَّ لنا من الشجاعة لكي نجد أفضل الحلول للتدخل، بركة الروح القدس وعمق المحبة.

٤. للمضي إلى الأبعد

■ هناك جانبٌ ينبغي عدم إهماله في ما يسمِّيه الأب كاقاريل حياة الزوجين المسيحيين ((الروحانية))، هو معنى الخطيئة وغفران الله. لأنَّه لا يمكن اعتبار روحانية الزوجين على الدوام مثالاً يُحتذى. فعندما تتضاءل الشفافية بين الزوجين وتبرز التناقضات وأشكال الشر المختلفة التي تُسبب الانقسام، لا بُدَّ لهما من أن يكتشفا أنَّهما خاطئان.

إنَّ إخفاقات الحب تجعلنا ندرك أنَّ الحبَّ نفسه يحتاج إلى الخلاص. ويختتم الأب كاقاريل فقرةً عنوانها ((جماعة خاطئة وتائبة ومسامحة)) بهذه الكلمات: ((إذا قيل الزوجان الاكتشاف القاسي (أنهما خاطئان)، تصبح جماعتهما الزوجية أخيرًا جماعةً تائبة، في وسط الجماعة التائبة الكبرى التي هي الكنيسة، فتلجأ

إلى ربّها الذي لا تريد التشكيك بحضوره وعنايته، وحينئذٍ، بانفتاحها على الغفران، تولّد من جديد إلى
الرجاء)) (الزواج، هذا السرّ العظيم، ص ٣٣٢-٣٣٣)

(المونسنيور فليشمان، روما، ٢٢/١/٢٠٠٣)

■ § ١٤٦- من جهة أخرى، إذا رافق شغف، أو هوىّ ما، العمل الحرّ، فيمكنه أن يُظهر عمقَ هذا الخيار. فالحُبّ الأموميّ يودّي إلى أن تُصبح الحياة العاطفيّة خيرًا للعائلة، في خدمة الحياة المشتركة. تبلغُ العائلةُ النضوجَ حين تتحوّل الحياة العاطفيّة لدى أعضائها إلى حساسيّة لا تسيطر ولا تُعتم على القيم والخيارات الكبرى، بل تحترم، بالحريّ، حرّيّة كلّ واحد، وتتبع منها، وتُغنيها، وتُجملها، وتجعلها أكثرَ تناغمًا، لِخَيْرِ الجميع.

(فرح الحبّ، الفصل الرابع)

■ § ٥٣- (...) في بلدان مختلفة، يُسهّل التشريعُ تعدّد الخيارات، بحيث إنّ زواجًا معيّنًا، بما له من علامات الحصريّة وعدم الانحلال والانفتاح على الحياة، قد ينتهي به الأمر إلى أن يظهر كعرضٍ مُهمَل بين الكثير من العروض الأخرى. وفي بلدان عديدة، نرى أنّ العائلة تتعرض لهدمٍ قانونيّ تدرجيّ، يسعى إلى اعتماد أشكالٍ تتركز بصورة شبه حصريّة على مبدأ سيادة الإرادة. وإذا كان أمرًا عادلاً ومشروعًا التخلّي عن أشكالٍ قديمة للعائلة ((التقليديّة))، تتميّز بالسلطويّة الاستبداديّة التي لا تخلو من العنف، فينبغي ألاّ يودّي ذلك إلى الحطّ من قيمة الزواج، بل إلى إعادة اكتشاف وتجديد معناه الحقيقيّ. إنّ قوّة العائلة ((تكمُن أساسًا في قدرتها على الحبّ وعلى تعليم الحبّ. ومهما كانت العائلة مجروحة، يبقى بإمكانها دائمًا أن تكبر باستنادها إلى الحبّ.

(فرح الحبّ، الفصل الثاني)

■ ((من جهة ثانية، أدعو الأزواج، الذين يستمدّون القوّة من لقاءهم في الفرقة، إلى الرسالة (...)). بالطبع، أنتم الآن مُرسلون بإشعاع حياتكم العائليّة لدى شبكات الصداقة والعلاقات، وحتى أبعد منها. ذلك لأنّ العائلة السعيدة المتوازنة والمسكونة بحضور الله، تتكلّم بنفسها عن محبّته للبشر أجمعين. ولكنّي أدعوكم أيضًا إلى الالتزام، إنّ أمكن، ودائمًا أكثر، بشكل ملموس وبروحٍ خلاقةٍ دائمة التجدّد، في النشاطات المُمكن تنظيمها لاستقبال الأزواج وتنشئتهم ومرافقتهم في الإيمان، وبخاصة الشباب منهم، وذلك قبل الزواج وبعده.

أحضّكم أيضًا على أن تُواصلوا التقرب من العائلات المجروحة، وهي عديدة جدًّا في هذه الأيام، أكان ذلك بسبب البطالة أم الفقر أم المشاكل الصحيّة أم الحداد، أم الهَمّ الذي سبّبه أحدُ الأولاد، أم فقدان

التوازن الناجم عن البُعد أو الغياب، أو عن جَوِّ من العنف. يجبُ التجرُّؤ على الذهاب إلى أمام هذه العائلات، بلُطفٍ ورِقَّة، إنَّما بكثير من السخاء، أكان ذلك مادِّيًّا أو إنسانيًّا أو روحيًّا، وبخاصَّة في هذه الظروف التي تشعر فيها هذه العائلات أنَّها أكثر هشاشة.

وأخيرًا، لا يسعني إلا أن أشجَّع أزواجَ فِرَقِ السيِّدة على أن يكونوا أدواتِ رحمةِ المسيح والكنيسة تجاه الأشخاص الذين فشل زواجهم. لا تنسوا أبدًا أن أمانتكم الزوجية هي هبةٌ من الله، وأنَّ كلَّ واحدٍ منا قد كان هو أيضًا موضعَ رحمة. إنَّ زوجين مُتَّحدين وسعيدين يمكنهما أن يفهما بشكل أفضل، ومن الداخل، الجرح والألم اللذين يُسببهما التخلِّي أو الهجر أو الخيانة أو إفلاسُ الحُبِّ. من المهمِّ إذن أن يكون بوسعكم تقديمَ شهادتكم واختباركم لمساعدة الجماعات المسيحية على تمييز الأوضاع الملموسة لهؤلاء الأشخاص، ولاستقبالهم مع جراحهم، ومساعدتهم على مواصلة مسيرتهم في الإيمان والحقيقة، تحت نظر المسيح الراعي الصالح، لكي يأخذوا نصيبهم ودورهم في حياة الكنيسة).

(البابا فرنسيس، في مقابلته لفرق السيِّدة - ٢٠١٥/٩/١٠)

حول الموضوع...

الإرشاد الرسولي ((وظائف العائلة المسيحية))، عدد ٨٤ (١٩٨١)	يوحنا بولس الثاني:.....
الإرشاد الرسولي ((سرَّ المحبة))، عدد ٢٩	بندكتس السادس عشر:.....
((انفصال)) (Une séparation, de Asghar Farhadi, 2011)	فيلم:
((فاير برووف)) (Fireproof) d'Alex Kendrick, 2008	

من ٥ إلى ٧ : للتقدُّم إلى الأمام

٥. مسارات تفكير للمجالسة

- أيُّ مكان يحتلُّه الغفران فيما بيننا؟
- متى شعرنا بأننا مقبولون في هشاشتنا؟
- بعد كلِّ غفران مَمْنوح، يخرج حُبُّنا أقوى: هل نأخذ القرار بأن يغفر واحدنا للآخر؟
- كيف نشهد أن الزواج هو دعوةٌ إلى الحُبِّ وليس عقْدًا يرمي إلى إرضاء الرغبات الفردية والعاطفية؟

٦. اقتراحٌ للمشاركة الروحية

- معاشرتنا لكلمة الله.

٧. مسارات لتبادل الرأي في الفرقة

- ((الحبُّ قويٌّ كالموت!)) (نشيد الأناشيد): كيف نفهم هذا التأكيد؟

- هل نقبل هشاشتنا الخاصة؟ وهشاشة قريننا؟... هل تشكّل هاتان الهشاشتان لنا فرصةً للتوبة؟

- أيُّ مكانٍ نُخصِّصُه للرحمة، رحمة الربِّ ورحمتنا الشخصية، في حياتنا العادية؟

- كيف نشهد لضرورة المغفرة بين الزوجين؟

٨. الصلاة الختامية

من رسالة القديس بولس إلى أهل رومة (٨: ٣٥-٣٩)

فَمَنْ يَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضَيْقٌ أَمْ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ: ((إِنَّا مِنْ أَجْلِكَ نُعَانِي الْمَوْتَ طَوَالَ النَّهَارِ وَنُعَدُّ غَنَمًا لِلذَّبْحِ)). وَلَكِنَّا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ فُزْنَا فَوْزًا مُبِينًا، بِالَّذِي أَحَبَّنَا.

وَإِنِّي وَاثِقٌ بِأَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ، وَلَا مَلَائِكَةً وَلَا أَصْحَابَ رِئَاسَةٍ، وَلَا حَاضِرٌ وَلَا مُسْتَقْبَلٌ، وَلَا قُوَّاتٌ، وَلَا عُلُوٌّ وَلَا عُمُقٌ، وَلَا خَلِيقَةٌ أُخْرَى، بِوَسْعِهَا أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.

التربية على الإيمان

§ ٢٨٧. ينبغي أن تتميز تربية الأولاد بمسيرة لنقل الإيمان، وقد صار هذا الأمر صعباً بسبب نمط الحياة الحالي وأوقات العمل وتعقيدات العالم المعاصر حيث يعيش الكثيرون في وتيرة جنونية لكي يتمكنوا من البقاء على قيد الحياة. ومع ذلك، ينبغي أن تستمر العائلة في كونها المكان الذي يتم فيه تعليم الأولاد كيميّة استشفاف أسباب الإيمان وجماله، وضرورة الصلاة وخدمة القريب.

يبدأ ذلك في المعمودية حيث، كما يقول القديس أوغسطينس، تُساهم الأمهات اللواتي يُقدن أولادهن (في الولادة المقدسة). بعد ذلك، تبدأ مسيرة النمو في هذه الحياة الجديدة. الإيمان هو عطية الله المتلقاة في المعمودية، وليس نتيجة عملٍ بشريّ. غير أنّ الوالدين هما أداء الله لإنضاجها وتتميتها. إذن، (جميلٌ أن تتعلم الأمهات أولادهن الصغار كيف يُرسلون قُبلةً إلى يسوع أو إلى العذراء مريم. فكَم من الحنان في هذه الحركة ! ففي هذه اللحظة، يتحوّل قلبُ الأولاد إلى مكانٍ صلاة). إنّ نقل الإيمان يفترض أن يعيش الوالدان الاختبار الحقيقي بأن تكون لديهما ثقةٌ بالله، وأن يبحثا عنه، وأن يحتاجا إليه، لأنّه هكذا يتحقّق القول: من جيلٍ إلى جيلٍ يُشادُ بأعماله ويُخبر بمآثره (راجع مز ١٤٥ : ٤) ويُنبئ الأب أولاده بأمانته (راجع إش ٣٨ : ١٩). وهذا يتطلّب منا أن نلتمس عملَ الله في القلوب، حيث لا نستطيع الوصول. إنّ حبة الخردل، أصغر كلّ الحبوب، تصير شجرةً كبيرة (راجع مت ١٣ : ٣١-٣٢)، وهكذا نتعرّف إلى النقاوت القائم بين العمل ونتيجته. نحن نعلم إذن أننا لسنا أصحاب العطية بل نحن مُديروها اليقظون. ومع ذلك، فإنّ التزامنا الخلاق هو عطية تُتيح لنا المشاركة في مبادرة الله. وعليه، (ينبغي السهر على إظهار قيمة الأزواج، الأمهات والآباء، كفاعلين فعّالين في التعليم المسيحي (...). إنّ التعليم المسيحي العائلي له دورٌ مُساعدٌ كبيرٌ بوصفه طريقةً فعّالة لتنشئة الوالدين الشابين ولجعلهما يُدركان رسالتَهُما كمُبشّرين بالإنجيل في عائلتهما الخاصة).

(فرح الحُب، الفصل السابع)

١. عرض الفصل

التربية على الإيمان: هذه العبارة معقدة. وبالفعل، إنَّ الاشتقاق اللغوي للكلمتين (تربية وإيمان) يدلُّ على وضعين متعارضين: الحركة والثبات.

إنَّ فعل «رَبَّى» *éduquer* يشتقُّ من الفعل اللاتيني *e-ducere*، الذي يعني حرفياً «أخرج»، أو *conduire dehors*. وكلمة «إيمان» يُعبَّر عنها في العبرية بلفظات مختلفة، إحداها تعني انضماماً أو صلةً بين شخصين، ولفظة أخرى توحى بالأمان، أي بالأساس التي نرتكز عليه في هدوء تام.

«تبدأ طريق الإيمان الحقيقيَّة حين نكتشف أنَّ لا شيء ولا إنسان ولا أيَّ وضع يُجيبُ بطريقة نهائية أعمق حاجةٍ في قلبنا.» (س. مولاري C. Molari)

إنَّ العائلة، قبل أن تكون مكانَ التربية على الإيمان، هي الموضعُ الطبيعيُّ الذي نقوم فيه باختبارنا الأوَّل للثقة: فالطفل، منذ ولادته، يطمئنُّ ويستسلم غريزياً إلى أمِّه. يمكننا القول إنَّه يؤمن بأُمَّه ويحتاج إلى هذا الإيمان لكي يبقى حياً. المرأة أيضاً، في شعورها الأمومي، تُفعلُ علاقةً ثقةً بولدها. هذه العلاقة المبنية على الثقة توجِّدُ بالطبع بين الرجل والمرأة وبين الأب والولد. والثقة الجوهرية، التي نخبرها في العلاقات العائلية، تصبح أرضية التربية على الإيمان المسيحي.

٢. شهادات

❖ «وهكذا، أقول ذلك عن قصد، وكأنَّه مفارقة، لقد ربَّانا والدي لأنَّه لم يكنْ له الهَمُّ بأنَّ يُربِّيَنا، بأنَّ يُقنِّعنا بشيء معين. بالطبع، كان يتمنى ذلك، وبالطبع، كان يُصَلِّي من أجل ذلك، وإنَّما كما لو كان يتحدَّانا، وكأنَّه يقول: 'أنا سعيدٌ، أنظروا إلى حياتي، أنظروا إذا كان بوسعكم أن تجدوا شيئاً أفضل، وخذوا قراركم'.

كان يلاحق بثبات وعناد قداسته الخاصة وليس قداستنا. وكان يعلم أنَّ بإمكاننا أن نكون قديسين بأنفسنا وبحريتنا واختيارنا.

وقت الأزمة التي ترافق غالبًا مرحلة المراهقة، يجب على المرّبي أن يكونَ شاهدَ الرحمة. هذا التماهي بالرحمة في التربية يحمل في ذاته نتائج تبدو لي حاسمة: فالتربية لا تستند إلى تقنيات سيكولوجية أو تربوية، أو سوسولوجية، بل هي تقدمةٌ لحياة الإنسان من أجل حياة الآخرين. إنها تقدمةٌ لاقتراح حياة أو مشروع حياة مُقنعٍ ومملوء بالمعنى ويجد جذوره في خبرة الشاهد الفرحة والواقفة.))

(البروفسور نمبريني، مجلس أبرشية روما)

❖ ((... لم يكن للدين في بيتنا أي طابع احتفالي: كنا نقصر على أن نتلو كلنا معًا صلوات المساء اليومية. ومع ذلك، كان هناك تفصيلٌ أتذكره جيدًا وسوف أبقى أتذكره ما حييت: كانت أختي تبدأ بتلاوة الصلوات، وبما أنّ هذه الصلوات كانت تبدو لنا نحن الأولاد طويلةً جدًا، كان يحصل غالبًا أن تُسرّع ((شمّاستنا)) الإيقاع، وترتّبك نتيجة قفزها فوق بعض الكلمات، إلى أن يتدخّل والدي فإرضًا عليها إعادة الصلاة من بدايتها.

لقد تعلّمتُ آنذاك أنّه يجب التحدّث مع الله بهدوءٍ وجدّيّةٍ ودقّة. وقد بقي ذلك محفورًا في ذاكرتي بالإضافة إلى الموقف الذي كان يتّخذُه أبي في أوقات الصلاة هذه. هو الذي كان يعود إلى المنزل مُتعبًا من العمل في الحقول خلال النهار، وما إن ينتهي من العشاء حتى يركع على الأرض، واضعًا كوعيه على كرسيّ ورأسه بين يديه، من دون أن ينظر إلى مكان أو يقوم بحركة أو يُعطي أيّة علامة على قلة الصبر.

وأنا كنت أفكر: إنّ أبي، القويّ جدًا ورئيس البيت، والذي كان يقود الثيران، ولا يتنازل قيد أنملة أمام المختار أو الأغنياء أو المحتالين والغشّاشين... كان يصير مثل طفلٍ أمام الله. كم كان يتغيّر منظره حين يبدأ بمخاطبة الرب! لا بدّ أن يكون الله عظيمًا جدًا لكي يركع أبي أمامه. ولكن، لا بدّ أيضًا من أن يكون رؤوفًا ورحيمًا جدًا لكي يكون باستطاعتنا أن نتوجّه إليه بدون أن نُغيّر ملابسنا. وبالعكس، لم أر أمي يومًا راكعةً على ركبتيها. فقد كانت لا تصلُ إلى المساء إلاّ منهكةً جدًا بحيث لا تستطيع الركوع. كانت تجلس في وسطنا حاملة على ذراعها أصغر أولادها. وكانت تتلو أيضًا الصلوات من أولها إلى آخرها من دون أن تتوقّف لحظةً عن النظر إلينا، الواحد بعد الآخر، متوقّفةً فترةً أطول وهي تنظر إلى الصغار. لم تكن تتدّمّر أبدًا عندما كان الصغار يُزعجونها، حتى ولو ضربت العاصفة المنزل أو راح الهُرُّ يقوم بالحماقات. وأنا كنتُ أفكر: لا بدّ أن يكون الله بسيطًا للغاية لكي يستطيع الإنسان أن يُكلّمه وهو يحمل طفلًا على ذراعيه ويضع (مريول) المطبخ على خصره. كما يجب أن يكون شخصًا هامًا جدًا لكي لا تحسب أمي، وهي تخاطبه، أي حسابٍ لا للهَرِّ ولا للعاصفة!

لقد علّمتني يدا أبي وشفاهُ أمي أشياء هامّةً عن الله.

(ب. دوفال - نصٌّ مأخوذٌ من مجلة (خدمة الكلمة))، عدد تشرين الأول-تشرين الثاني (١٩٩٨)

➤ بحثًا عن الله

تَحَدُّ :

تربية الأهل على الإيمان تُشكِّل تحديًا للأهل، وفي الوقت نفسه أملاً كبيراً. إنَّها تستلزم القبول بأن ينكبَّ الأهل على البحث عن محبة الله، مُنفتحين على جميع المساعدات الممكنة للقاء بالله.

في الأساس: الثقة

إنَّ الثقة كعمل شخصي هي المفتاح للوصول إلى البحث عن الله. نحن نؤمن بالإنسان الذي يتقدَّم في الإيمان والذي يقدر أن يشهد له. نحن لا نسأل من أين انطلق، ولا ما إذا كانت عائلته قد دعمته أم أجبرته، وما إذا كانت لقاءاته تافهة أم مهمة، وما إذا كانت علاقته متينة أم بحاجة إلى التقوية. الاحتمال الأكبر هو أنَّ الله قد جاء في وقتٍ معيَّن يبحث عنه.

■ انضمام شخصي

الإنسان سعيدٌ بمجرد كونه قد اكتشف الله. فالله جعله سعيداً بقربه منه وملأه فرحاً، وجعله قادراً على أن يُحبَّ، وبالتالي على أن يشهد لهذا اللقاء.

■ التربية على الإيمان هي نقل الحب

إنَّ سنَّ المراهقة لدى الأهل، ومرحلة الـ((لا))، وحالات السخط السريع، والأوضاع الأكثر عبثيةً، تبدو وكأنها تقطع عملية نقل الحب. وحينئذ ينبغي مواصلة الرجاء والحب... والصلاة.

إنَّ العائلة التي ترافق أولادها، وتُصغي إليهم بدون ان تنتقدهم، وتربيتهم على البحث عن الرجاء والمحبة والإيمان، هي عائلة تحوي في ذاتها الانتباه والانفتاح على العالم.

بالإضافة إلى العائلة، تمرُّ تربية الإيمان أيضاً من خلال بنياتٍ علائقية عديدة، لأنَّها بالذات علائقية، وتتحقَّق دائماً في علاقات بين الأشخاص. إنَّ التدخُّل التربوي لا يسببه عمل شخص واحد بل تفاعل أشخاص يعملون معاً في شبكة مترابطة يساهمون فيها مساهمة حقيقية (مثلاً: أب، أم، كاهن، معلِّمون).

٤. للمضي إلى الأبعد

■ (...) ليس بإمكاننا التحكّم بجميع الأوضاع التي قد يمرّ بها الولد. فهنا يصحّ المبدأ القاضي بأنّ «الزمن فوق المكان». هذا يعني أنّ الأمر يتعلّق بخلق سياقات، أكثر من السيطرة على المساحات. إذا كان لدى أحد الوالدين هوس بأن يعرف أين هو ولده وبأن يراقب جميع تحركاته، فسوف يسعى إلى السيطرة على المساحة التي يتحرّك فيها. وبهذه الطريقة، لن يُربّيّه ولن يُقوّيه ولن يُحصّره لمواجهة التحديات. الأمر المهمّ بوجه خاصّ هو أن يخلق الأب أو الأمّ لدى الولد، بكثيرٍ من الحُبّ، سياقاتٍ لتُضوح حرّيته ولتتشبّه ولتُموّه المتكامل ولزرع استقلاليّة حقيقيّة لديه. فهكذا، وهكذا فقط، ستنشأ لدى الولد العناصرُ الضروريّة لكي يعرف الدفاع عن نفسه والتصرّف بذكاءٍ وتبصّرٍ في الظروف الصعبة. إذن، ليس السؤال الكبير: أين يوجد الولد جسدياً، ومع مَنْ هو في هذا الوقت، بل: أين يوجد في معنى وجوديٍّ وأين موقعه تجاه قناعاته وأهدافه ورغباته ومشروعه الحياتي. وبالنتيجة، إنّ الأسئلة التي أطرّها على الأهل هي: «هل نحاول أن نفهم أين صار الأولاد فعلاً على طريقهم؟ وهل نعرف أين هي أنفسهم بالفعل؟ وبوجه خاصّ، هل تهملنا حقاً معرفة ذلك؟».

(فرح الحُبّ، § ٢٦١، الفصل السابع)

■ «لكي نكون أكثر فعاليّة في التربية على الإيمان، يتعيّن علينا أن نفهم كيف كان يسوع يُربّي على الإيمان، وكيف كان يرافق على درب الإيمان الرجال والنساء الذين كان يلتقيهم على طرق فلسطين.

لم يكن لدى يسوع أيّة أفكارٍ أو أحكامٍ مُسبّقة، بل كان يعرف كيف يخلق مساحة من الثقة والحرّيّة حيث يستطيع الآخر أن يدخل بلا خوفٍ وبدون أن يشعر بأنّه مُدان. على الطرقات، على طول الشواطئ، في البيوت، في المجامع، كان يسوع يخلق مساحةً ترحابٍ بالآخر الآتي إليه أو الذي كان هو يسعى إليه؛ ثمّ كان يُصغي إلى هذا الآخر، مُحاولاً أن يفهم الأمور العزيزة على قلبه وحاجته الفعلية.

حين يلتقي يسوع بالآخر، يلتقيه بصفته إنساناً، وليس كخاطئٍ أو مريضٍ أو فقيرٍ أو مسكين. ويعتني بالإنسان كلّهُ، ويبحثُ عن الإيمان الحاضر في كلّ شخص. ويعرف يسوع أنّ الإيمان هو فعلٌ شخصيٌّ وحرّ: إذ لا أحدٌ يقدر أن يؤمن مكاناً أحد. إنّ يسوع، من خلال حضوره كإنسانٍ منفتحٍ ومُرَجَّبٍ وموثوقٍ، يجعلُ الإيمانَ مُمكنًا، ويجعله يظهر ببساطة من خلال حُسن استعداده تجاه الآخر».

(أ. بيانكي E. Bianchi - منهجية يسوع في التربية على الإيمان)

■ ((الحياة المسيحية هي أكثر من جماعة، إنها شركة أو مشاركة. فبالإيمان - والمقصود الإيمان الحَيّ - يدخل المسيحي في شركة مع الفكر الإلهي. ويُشارك، كما يقول اللاهوتيون، في ما لدى الله من معرفة لنفسه. وبالمحبة، يُحبُّ الله بقلب الله نفسه، فيُشرك حيويًا في الفعل الذي به يُحبُّ الله نفسه. والحال أننا صرنا ((متعودين)) على جميع هذه الصيغ التي تعلّمناها في التعليم المسيحي... بحيث لم يعد شيءٌ يُدهشنا. ومع ذلك، فهناك مسيحيون يأخذون بجدية هذه الحقائق الفائقة الطبيعة ويحيون منها. إنَّ إيمانهم هو شغفٌ بالمعرفة: بمعرفة الله وقصده وأفكاره. وهم يجتهدون في إبقاء هذا الإيمان حيًا ومتناميًا من خلال التأمل في الكلمة الإلهية، والإصغاء بانتباه إلى ما يريد الله أن يقوله لهم في الأحداث اليومية.))

(هنري كافاريل، المحبس الذهبي، العدد ٥٦ - نيسان ١٩٥٤)

■ ((هناك ليالي الإيمان، حيث يبدو أن الحَبَّ مات تحت أرض الشتاء الجليدية. مع أن الله لا ينام أبدًا ولا يهزمه الليل، ولا يوقفه الجليد، وهو، متى حان الوقت، سيوقظ الحَبَّ الجيد. عندما يبدو لنا أن أولادنا صاروا ((غُرباء))، يجب علينا البقاء بجانبهم، ليس مع كامل العقل السليم التربوي فحسب، بل خصوصًا مع نفس خاشعة في الصلاة ومقتنعة باليقين أن الله يُحبُّ هؤلاء ((الغُرباء)) أفضل بكثير منّا.

... يجدر بنا أن نقف أمام بيت القربان وندع قلبنا يتحوّل لكي نرى ونشعر ما يراه الله ويشعر به. فالتربية على الإيمان تعني أن يكون لنا الأفكار والمشاعر نفسها الموجودة لدى الربّ.

يجب علينا مساعدة الأولاد، منذ حداثتهم، على أن يُحبّوا الأسرار المقدّسة، كنز النعمة المجردة التي تدفعنا إلى الحرّية، حتى ولو كنّا لا نسعى إليها. مطلوب منّا، نحن الوالدين، أن لا ننسى مُراهقتنا بما فيها من شكوكٍ وأكاذيب. هذا التذكُّر يُساعدنا على أن يكون لدينا نظرة رجاءٍ نحو أولادنا المراهقين. فحتى لو كنّا نحتفظ من تلك المرحلة ببعض الجراح، فإنَّ الله قد رافقنا في تلك المرحلة الصعبة، وهو سوف يفعل الأمر نفسه معهم.

(الأخت روبيرتا فينيريا، الزاوية الشهرية بعنوان ((ما لا يقوله أولادنا)) من المُلحق ((نحنُ الوالدون والأولاد))

حول الموضوع...

إنجيل العائلة - L'Évangile de la famille, Edition du Cerf, 2014	والتر كاسبر:.....
تربية مريم - جان بابتيست تيببولو، Venice, Santa Maria della Fava	رسم:.....
«الحياة حلوة» - Roberto Begnini, 1997 - La vie est belle	فيلم:.....

٥. مسارات تفكير للمجالسة

- هل تثق بي؟
- هل كبرت ثقنا المتبادلة مع السنين؟
- هل هناك أوقات لم يكن لك فيها ثقة بي؟ وهل في حياتنا اليومية مواقف تجعلني أشك في حُبِك؟

٦. اقتراح للمشاركة الروحية

- كيف تُغذي الأسرارُ ممارستنا لنقاط الجهد الملموسة؟

٧. مسارات لتبادل الرأي في الفرقة

- الثقة هي الاختبار الأول الذي يتكوّن لدى الولد الصغير في العائلة، ((التربية علائقية)): كيف نُقيمُ جوًّا من الثقة يستطيع فيه الولدُ أن يكبر؟
- كيف نحاول نحن الوالدين أن نحافظ على هذه الثقة في مرحلة المراهقة، ثم مع الأولاد الكبار؟
- على أيّة طُرُقٍ تدفّعنا، نحن الوالدين، هذه الثقة؟
- هل نُدرِكُ أنّ تربية الولد هي أن نقوده إلى أفضل ما لديه، وأن نجعله في ثقة كبيرة جدًّا بحيث نستطيع أن نتطلّب منه أفضل ما لديه؟
- هل نعرف أين وصل أولادنا على طريقهم الروحيّ؟ و((أين توجّد أنفسهم))؟
- ((أن نعرف كيف ننتظر الله)) في الثقة: هل نعرف أن نُصَلّي وأن نحاول البقاء منفتحين، مُرحّبين، مُنتبّهين، في الإيمان؟ كما يفعل يسوع؟

رسالة القديس يوحنا الأولى (١ : ١-٤)

ذاك الذي كان مُنذُ البَدْءِ، ذاك الذي سَمِعناه، ذاك الذي رأيناهُ بَعَيْنينا، ذاك الذي تَأَمَّلناه ولمَسْتَه يدانا من كَلِمَةِ الحَيَاةِ، لأنَّ الحَيَاةَ ظَهَرَتْ فرأينا ونَشَهدُ ونُبَشِّرُكم بِتلكِ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ لَدَى الآبِ فَتَجَلَّتْ لَنَا .

ذاك الَّذِي رأيناهُ وَسَمِعناه، نُبَشِّرُكم بِهِ أَنْتُمْ أَيْضًا لِتَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا مُشَارِكَةً مَعَنَا، وَمُشَارِكَتُنَا هِيَ مُشَارِكَةٌ لِلآبِ وَلابْنِهِ يسوعَ المسيحِ.

وَإِنَّا نَكْتُبُ إِلَيْكُمْ بِذَلِكَ لِيَكُونَ فَرَحُنَا تَامًا.

القيمة الاجتماعية للزواج والعائلة

§ ١٨٤. إنَّ العائلات، بشهادتها وكلامها أيضًا، تتحدَّث عن يسوع إلى الآخرين، وتنقل إليهم الإيمان، وتوقظ فيهم الشوق إلى الله، وتُظهر جمال الإنجيل، كما تُظهر نمطَ الحياة الذي يعرضه علينا. وهكذا، فالأزواج المسيحيون يُلونون المساحة العامَّة الرماديَّة ويملأونها بلون الأُخوة، بالحسائيَّة الاجتماعيَّة، بالدفاع عن السريعيِّ العُطب، بالإيمان المُنير، وبالرجاء الفعَّال. فتنسَّع خصوبتهم وتترجم بألف طريقة لجعل محبَّة الله حاضرةً في المجتمع.

(فرح الحُب، الفصل الخامس)

١. عرض الفصل

يضطلع المسيحيون بمهمَّة ورسالة تجاه جميع البشر: فبالإيمان والمحبَّة، يستطيعون توجيه البشريَّة وتكريسها وجعلها خصبة. نحن المعمِّدين تلاميذُ مُرسَلون، ونحن مدعوون إلى أن نصير في العالم ((إنجيلًا حيًّا)).

إنَّ العديد من المجتمعات المعاصرة هي مجتمعات مُغلقة وفردية، وهي تجعل مفهوم العائلة يقتصر على أن يكون مفهومًا خاصًا. أمام هذا الواقع، يؤلِّف الزوجان والعائلة موردًا بالغ الأهميَّة. فبوسع المجتمع أن يبني حضارةً على قاعدة صلبة ومتينة إذا كان قادرًا على تطوير حضارة جديدة عن العائلة. ففي العائلة، وبفضل موهبتها الخاصَّة، يمكننا البدء بأن نبني وننشر ونُطوِّر ((نحن)) الخاص بالبشريَّة. وهكذا يستطيع البُعد ((العائلي)) أن يتوسَّع إلى أن يلتقي بعائلة الشعوب.

إنَّ خصوبة الزوجين تتحقَّق في ثلاثة أشكال. أولًا، الخصوبة الزوجيَّة التي تتم في بناء العلاقة بين الزوجين؛ ثانيًا، الخصوبة الأكثر بدهاءة والمُعترف بها منذ الأساس: الخصوبة البيولوجيَّة والوالديَّة، التي يتم من خلالها نقل الحياة وتربيَّة الأولاد؛ ثالثًا، الخصوبة الاجتماعيَّة، فنحن مدعوون إلى أن نشهد أمام العالم، بصفتنا أزواجًا وعائلات، على القيم الخاصَّة بالعلاقة الزوجيَّة ((كطريقة فعَّالة لأنسنة المجتمع وشخصنته)).

((وظائف العائلة المسيحيَّة))، FC ، عدد ٤٣)

❖ «برجعنا من ألبانيا إلى المنزل، وجدنا أننا لا نزال مدهوشين بغزارة الانفعالات التي شعرنا بها في مخيم الشبيبة حيث عشنا فترة من العمل التطوعي. كانت هذه الفترة اختباراً عائلياً أردناه وقمنا به بعناد لا يخلو من التساؤلات والاعتراضات. الرجوع إلى ماضٍ كنا قد عرفناه («إنزا») وأنا، المخطوبان حديثاً، على هذه الأرض التي لم تزل في حالة ثورة.

حين أعلنّا، في شهر أيار، رغبتنا بالذهاب كلنا معاً، وجدت ابنتنا إيونورا (١٤ سنة) الفرصة لإظهار عدم موافقتها وتمردّها. «ماذا سنفعل في بلدٍ لا شيء فيه، ولا نعرف فيه أحداً؟ ألا يكفيكما الناس الذين يحيطون بنا ههنا...؟». كان ذلك كمن يرش ملحاً على الجرح، عدم القبول بنمط حياتنا... فنظرنا، إنزا وأنا، الواحد إلى الآخر، غير متأكدين من وجوب الردّ والتوضيح وشرح دوافعنا وقناعاتنا. وفي الصمت، تشابكت الصور والمشاعر والانفعالات التي توالّت لدينا على مدى عشرين سنة من الحياة المشتركة.

منذ خُطوبتنا، كنا منقّمين على اعتبار علاقتنا الزوجية، وعائلتنا لاحقاً، كعطيّة تلقيناها وعلينا إعادتها. لقد عبّرنا عن ذلك بفتح منزلنا ووقتنا وحياتنا كلّها للآخرين. مع وعينا البسيط أننا لا نملك الكثير، لكننا نريد أن نتقاسم كلّ شيء مع الآخرين.

كانت ألبانيا في نظرنا («كالجارية المقيمة بقرينا»)، وكانت البداية... ثم جاءت («تيزيانا») الفتاة التي عهد بها إلى عائلتنا، و («خاديم») مع تعقيدات رخص إقامته المتزايدة يوماً بعد يوم، و («ميريام»)، رفيقة ابنتنا في البحث عن منزل تقيم فيه مع عائلتها، ثم («تات») وعالمه الشرقيّ البعيد جداً عن عالمنا، ووالدانا الذين بلغوا العمر الذي يعود فيه المرء إلى سنّ الطفولة... ومن جديد، أسبوعان في أرض النسور.

عند عودتنا من ألبانيا، استدعت إيونورا العائلة كلّها إلى المطبخ، فيما كانت صوفيا تُشاهد بعض صور المجموعة، وكارلا ترندح صلاة الألبان في لغة غير مفهومة تُدكرنا بالأصدقاء الذين تركناهم مؤخراً. «كنت أود أن أطلب منكم شيئاً ما... - هكذا بدأت إيونورا الكلام وقد احمرّت وجنتاها بطريقة بديهية ولوّث أصابعها لتتخذ شكلاً يشبه العقدي - لقد أمضيت وقتاً ممتعاً جداً...! هل نستطيع العودة إلى ألبانيا في السنة القادمة؟»

(إنزا وميشيل، فرّق السيّد)

❖ نعرف سارة، وهي أمّ عزباء، عاطلة عن العمل؛ إنها تسكن في مسكن اجتماعي قريب منا. تُرى كيف ستنجح في تربية كريستينا الصغيرة؟ محمّد وفاطمة هما أيضاً جارانا: وقد رزقا بطفل اسمه كريم، غير أنّ الوالد فقد عمله، ومنذ أشهر لم يدفع إيجار بيتهما. فهل سيتمكّنان من الاحتفاظ بهذا المسكن؟ إن

الأزمة الاقتصادية، التي تطال حياة أشخاصٍ عديدين وعائلاتهم، لا تُفَرِّق بين الأشخاصِ بحسب جنسيتهم. وهناك أيضًا لوقا، وهو واحدٌ من أصدقائنا منذ عهد الاهتمام بالرعيّة، لقد خسر عمله، وتركت زوجته، بسبب الحمل، مركز الاتصالات الذي كانت تعمل فيه، وهي الآن لا تعلم ما إذا كانت ستستطيع استعادة عملها لأنها مضطّرة إلى العناية بالصغير جيورجيو.

بالنسبة إلى هؤلاء الأصدقاء، تحوّل الفرحُ بولادة الأطفال إلى مصدرٍ للقلق، وحتى للخوف من المستقبل. هل كان ذلك بركة؟ لقد قلنا لأنفسنا نعم، لأنّ الحياة، مهما كانت ظروفُ استقبالها، هي بركة. لقد قلنا ذلك معًا. معًا، هذا هو السرّ: أن نتقاسم ما تلقّيناه. أن يروي الواحدٌ للآخر، وأن نتشارك اختياراتنا كوالدين حديثي العهد، اختياراتنا التي تُوحّدنا وتجعلنا سعيدين مهما كانت الظروف مُعاكسة. فالمحنُ أيضًا يجب مواجهتها معًا... نحن نتعاون تعاونًا متبادلًا لأننا نعيش الوضع نفسه، ولأنّ لدينا الحاجاتِ نفسها المرتبطة بالعناية بالأولاد، وإنما خصوصًا الحاجة إلى العلاقة والأخوة.

إنّ القوانين الإقليمية تُتيح لنا إنشاءً حضاناتٍ أهلية. لذلك، وضعنا منزلنا في التصرّف، وطلّبنا من سارة، ومن لوسيا التي تحمل شهادة مُربيّة، أن تأخذ على عاتقها، بالإضافة إلى أولادها الخاصين، ابنتنا ماركو، وكريم، وأولاد الأصدقاء الآخرين أيضًا. في الحضانة الأهلية التقتُ فاطمة بـ(باولا) التي صارت لها (أمًا صديقة) تسندُها وتُرافقها وتساعدُها على الاندماج والتوجّه في عالمٍ لا يزال غريبًا عليها.

إنّ العطية التي تلقّيناها بأن نكون عائلة لم نحتفظ بها لأنفسنا، بل تقاسمناها وتقاسمها معنا آخرون أيضًا، وهذا ما وُلدَ بيننا تضامنًا وصدقةً وأخوةً.

(عائلة طاقة للحياة، العمل الكاثوليكيّ الأمبروازي)

٣. للتفكير

➤ العائلة والمجتمع

يُشدّد علماء الاجتماع على أنّ العائلة هي الخلية الأولى في المجتمع؛ يعني أنّها المكان الذي نتعلّم فيه القيم والعادات والأعراف الخاصة بالمجتمع الذي نعيش فيه.

ومن جهة أخرى، من البديهيّ أنّ المجتمعات المعاصرة تعيش عمليةً (تفريد) (individualisation) تدفعُ الـ«أنا» للتفوّق على الـ«نحن»، والفرّد على المجتمع، وهذا ما يؤدي إلى تفتيت الروابط الاجتماعية الثابتة والدائمة.

➤ المجتمع يحتاج العائلة

نحن نؤمن بأن المجتمعات المماثلة لمجتمعاتنا هي في حاجة إلى العائلة. وبالفعل، ليس هناك بنية لها نفس وظائف العائلة لكي تُعيد إنتاج المبادلة والثقة ومعنى التواصل مع الآخرين، وبالتالي، الحس بالخير المشترك. بوسع العائلة أن تُسهّم في خلق ونشر ((ثقافة اللقاء)) التي يقترحها البابا فرنسيس كـ((بلسم)) للعناية بجراح البشرية المعاصرة، لكي نجعل من العالم البيت الحقيقي للجميع.

➤ العائلة فريدة في قدرتها على إنشاء العلاقات

لا يمكن اعتبار الشخص البشري كفردٍ منعزل، إذ إنّه، على العكس، ((كائنٌ في علاقة)). والعائلة فريدة في قدرتها على إنشاء العلاقات. لقد ذكرنا البابا فرنسيس بذلك في خطابه أثناء اجتماع المجلس الحبري للعائلة (٢٠١٣)، فقال: ((العائلة هي المكان الذي نتعلّم فيه أن نُحبّ، والمركز الطبيعي للحياة البشرية. إنّها مصنوعة من وجوه، من أشخاصٍ يُحبّون ويتحاورون ويُصَحّون بأنفسهم من أجل الآخرين ويُدافعون عن الحياة، وبخاصّة في شكلها الأضعف والأكثر هشاشة. ويمكن القول، بدون مبالغة، إنّ العائلة هي مُحركُ العالم والتاريخ)).

➤ الميزات الاجتماعية للعائلة

العائلة مدرسةٌ للاندماج الاجتماعي. وضمن العائلة، يكبر الفرد في الحرّية وفي معنى المسؤوليات التي هي الأسس التي لا يُستغنى عنها لكلّ التزامٍ في المجتمع. والعائلة تشهد أيضاً على الاحترام وعلى معنى الاستقبال، والمغفرة والمصالحة، والمجانّة والعدالة: وهذه المواقف تُؤنّس مجتمعاتنا.

يمكن، بشكلٍ بديهيّ، إبرازُ أربعة مظاهرٍ تُميّز، بصورة مبتكرة، الشركة الزوجية والحبّ الزوجي، وهي: التكامل، التقاسم، المسؤولية المشتركة، والعيش المشترك.

التكامل: يعيشه الزوجان لأنّهما يتساندان الواحد مع الآخر ويتقبّلان اختلافاتهما مع أنّهما يشكّلان كياناً واحداً. إنّ التكامل لا يُلغي قيمة اكتمال الشخص، بل يمنحه بُعد التبادل والعلاقة. هذه القدرة لدى الزوجين يُمكن إهداؤها إلى المجتمع كموردٍ للعيش معاً من أجل أن يُحقّق كلّ عضوٍ ذاته في علاقته مع سائر أعضاء الجماعة. إنّ الفنّ الذي يتيح تكوين الجماعة يُؤدّي إلى بناء حياة اجتماعية على قياسٍ بشريّ، حيث تزداد قيمة كلّ شخصٍ لأنّه مقبولٌ في اختلافه.

التقاسم: المقصود هو نمط حياةٍ حقيقيّ يحقّقه الزوجان إذ يتقاسمان كلياً وجودهما وشخصهما. إنّ مدرسة التقاسم هذه يمكن أن تصير نمط حياةٍ يُبنى حول العائلة، في قلب الكنيسة والمجتمع. ففي قبولهما

المتبادل والحميم يستطيع الزوجان أن يتقاسما الأفراح والأحزان والرضا والسرور لدى جميع الذين يلتقيانهم خلال حياتهما.

المسؤولية المشتركة: الزوجان مسؤولان معاً عن تنظيم حياتهما اليومية وعن إدارة أمور أولادهما ومواردهما المالية... وهما يُدركان أنهما يُساهمان في خيرهما وخير عائلتهما. إنَّ العناية بخير الآخر ورفاهيته هي مصدر خير للجميع. فضلاً عن ذلك، إنَّ تَعَلُّمَ الزَّوجَيْنِ المسؤولية المشتركة داخل الأسرة هو مساهمة في خير البشرية المشترك. إنَّ تَعَوُّدَهُمَا على حَمْلِ أعباء بعضهما البعض يؤدي إلى أن يتحملاً مسؤوليةً أكبرَ وأوسع على الصعيدين الكنسي والمدنيّ.

العيش المشترك: هو اتحاد النفوس. يعني أن يكون الواحد حاضراً للآخر، بشكلٍ حميم، وأن يستقبل الآخر في ذاته، بحيث إنه يشعر بحضوره حتى ولو لم يكن حاضراً فعلياً. إنَّ الحبَّ بيننا قوياً جداً لدرجة أنك تسكن فيّ، فأنا أفسح لك مكاناً فيّ، وأنا واحدٌ معك. والعيش المشترك يُعاشُ أيضاً مع الأولاد، وطبعاً، بطريقةٍ مختلفة. ثمَّ إنَّ جماعاتنا المدنيّة هي، مع الأسف، مطبوعةٌ بمعنى ضعيفٍ للتعايش، وهكذا تقتصر الحياة الاجتماعيّة على البحث عن توازناتٍ وتقاومات بين فردانيّاتٍ مختلفة. إنَّ الشهادة للعيش المشترك أمام الذين لا يشعرون في المجتمع بقرب الآخر، تعني الزيادة من التماسك الاجتماعيّ.

➤ العائلة معبد الحياة

إنَّ القيمة الاجتماعيّة للعائلة يُعبّر عنها أيضاً بأنَّ العائلة هي معبد الحياة، أي المكانُ الأمثل الذي ينمو فيه وجودُ الكائنات البشريّة ويُدعم ويُصان في مراحل الحياة كلّها، من الحبل إلى الوفاة.

٤. للمضي إلى الأبعد

■ § ١٣٣. إنَّ حُبَّ الصداقة يوحّد بين جميع أوجه الحياة الزوجيّة ويُساعد أعضاء العائلة على المضيّ قُدماً نحو جميع المراحل. ولذلك، فإنَّ الحركات التي تُعبّر عن هذا الحُب ينبغي الاعتناء بها دائماً، بدون استصغار، وإرفاقها بكلمات ودوّة. ففي العائلة، ((من الضروريّ استخدام ثلاث كلمات. أريد أن أُكرّر ذلك، ثلاث كلمات: ((من فضلك))، ((شكراً))، ((أعتذر)). ثلاث كلمات جوهريّة!)). ((ففي العائلة، عندما لا نتصرّف بروح الهيمنة ونطلب شيئاً ما قائلين: ((من فضلك))؛ وفي العائلة، عندما لا نتصرّف بأنانيّة، ونتعلّم أن نقول ((شكراً))؛ وفي العائلة، عندما يلاحظ أحدُنا أنه تصرّف بشكلٍ سيّئ، ويعرف أن يقول ((أعتذر))؛ فإنَّ السلام والفرح يستتبان في هذه العائلة. لا نكوننَّ بخلاء في استعمال هذه الكلمات الثلاث، بل لنُرَدِّدها بسخاء يوماً بعد يوم، لأنَّ ((بعض أنواع الصمت، في العائلة، بين الزوج والزوجة، بين الوالدين

والأولاد، وبين الإخوة، هي أحياناً صعبة الاحتمال)). وبالعكس، فالكلمات الملائمة، التي تقال في اللحظات المناسبة، تصون الحُبَّ وتُعَدِّيهِ، يوماً بعد يوم.

(فرح الحب، الفصل الرابع)

■ مقتطفات من «وظائف العائلة المسيحية (Familiaris Consortio)»::

«إنَّ العملَ على قيام شركةٍ حقيقيةٍ في العائلة بين أشخاصٍ مسؤولين يصير نوعاً من التدرُّبِ الجوهريِّ الضروريِّ على الحياة الاجتماعية، كما يصير مثلاً وتشجيعاً على إقامة علاقاتٍ جماعيةٍ موسَّعةٍ تتَّسِمُ بالاحترام والعدالة وحسَّ الحوار والحبِّ)). (FC 43). وهكذا، «فالعائلة المسيحية مدعوَّةٌ إلى أن تُساهمَ مساهمةً فعَّالةً ومسؤولةً في رسالة الكنيسة... بأن تضعَ نفسها في خدمة الكنيسة والمجتمع، بكيانها وعمَلها، باعتبارها جماعةً حميمةً قائمةً على الحياة والحبِّ)» (FC 50).

حول الموضوع...

Familiaris Consortio, 1981 (وظائف العائلة المسيحية)	يوحنا بولس الثاني.....
الخلاصة اللاهوتية الاجتماعية للكنيسة، ٢٠٠٦	المجلس الحبري للعدالة والسلام
ما فعلنا لله-2014، Qu'est-ce qu'on a fait au Bon Dieu	فيلم:
(خطوات فان غوغ الأولى)، Les premiers pas de Van Gogh	رسم:
1890	

من ٥ إلى ٧ : للتقدُّم إلى الأمام

٥. مسارات تفكير للمجالسة

- هل نشكِّل (مساحةً) لاستقبال الآخر؟ («أنت تُقيمُ فيَّ، وأنا أفسحُ لك مكاناً فيَّ، ولستُ إلاً واحداً معك»)
- كيف نعيش التكامل، التقاسم، المسؤولية المشتركة، والعيش المُشترَك، كما هي موصوفةٌ في النَّصِّ؟
- هل هناك أوقاتٌ لم تكن فيها تثقُ بي؟ وهل في حياتنا اليومية مواقفٌ تجعلني أشكُّ في حُبِّك؟

٦. اقتراحٌ للمشاركة الروحية

- كيف نختارُ قاعدةً حياتنا؟

٧. مسارات لتبادل الرأي في الفرقة

- الزواج والعائلة، ((مُحرِّكُ العالم والتاريخ))، هما أساسُ بناءِ المجتمعِ البشريِّ: كيف نشرح هذا القول؟

هل نحن منتبهون لضرورة الشهادة لذلك لكي نكون ملح الأرض؟

- هل حبُّنا هو ينبوعُ التزاماتنا وخصوبتنا؟ وكيف؟ وما هي هذه الالتزامات والخصوبة؟

- إنَّ ((ثقافة اللقاء)) هي ((بلسمٌ)) لمعالجة جراح بشريتنا: هل حصل لنا أن نكون ((معبداً للحياة))، أن نحمي حياة الأشخاص الأكثر ضعفاً، أن نكون سنّداً لحياة الأشخاص المُستئين؟ كيف عشنا ذلك (كأفراد، كأزواج، كعائلة...)?

- أن نردَّ لله ولكلِّ إنسانِ الهبةَ التي تلقَّيناها مجاناً، ((وإلاَّ، فلا معنى لحياتنا)): هل نحن في نطاق ((العَمَل)) ((le faire))، أم ((الكيونة)) ((l'être))؟ وما هو طريقنا لكي نُثَمِّرَ الهبات المتعددة التي تلقَّيناها؟

٨. الصلاة الختامية

من إنجيل القديس متى (٥: ١٣-١٦)

أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ، فَإِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ، فَأَيُّ شَيْءٍ يُمَلِّحُهُ؟ إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ يُطْرَحَ فِي خَارِجِ الدَّارِ فَيَدُوسُهُ النَّاسُ.

أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لَا تَخْفَى مَدِينَةٌ قَائِمَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلَا يُوقَدُ سِرَاجٌ وَيُوضَعُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ، فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ.

هَكَذَا فَلْيُضِيءِ نُورُكُمْ لِلنَّاسِ، لِيَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الصَّالِحَةَ، فَيُتَمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ.

في مواجهة الأوضاع «المختلفة»

نهاية § ٣١١ - ... إنَّ الرحمة لا تنفي العدالة والحقيقة، ولكن، قبل كلِّ شيء، يتعيَّن علينا القول إنَّ الرحمة هي ملءُ العدالة والإظهارُ المُنيِّرُ لحقيقة الله. ولذلك، من الملائم دائماً اعتبارُ أنَّ (جميع المفاهيم اللاهوتية التي، بالنهاية، تطرح للمناقشة مسألة قدرة الله الكلية، وبخاصة رحمته، هي غيرُ مُلائمة).

§ ٣١٢ - هذا الأمر يُوفِّر لنا إطاراً ومناخاً يمنعنا من تطوير أخلاقية بيروقراطية باردة في الكلام على المواضيع الأكثر دقَّةً، وهو يَضَعنا بالأحرى في سياق تمييز راعويٍّ موسومٍ بحُبِّ رحيم يسعى دائماً إلى أن يتفهَّم ويغفر ويُرافِق وينتظر، وخصوصاً إلى أن يسهِّل الاندماج. هذا هو المنطق الذي يجب أن يسود في الكنيسة، من أجل «اختبار انفتاح القلب على جميع الذين يعيشون في الأطراف والضواحي الوجودية الأكثر اختلافاً». أدعو المؤمنين الذين يعيشون أوضاعاً معقَّدة إلى أن يقتربوا بثقةٍ من رعاتهم أو من علمانيين آخرين يعيشون في التفاني والوفاء للرب، لكي يتحدثوا معهم. قد لا يجدون دائماً لديهم تأكيداً لأفكارهم أو لرغباتهم الخاصة، لكنهم بالتأكيد سيتلقَّون نوراً يتيح لهم أن يفهموا بشكلٍ أفضل ما يحصل لهم، وسيستطيعون اكتشاف طريقٍ للنضج الشخصي. كما وأدعو الرعاة إلى أن يُصغوا بؤدِّ وصفاء، مع الرغبة الصادقة في أن يدخلوا إلى قلب مأساة الأشخاص وأن يفهموا وجهة نظرهم لكي يساعدهم على العيش بشكلٍ أفضل وعلى التعرف إلى مكانهم في الكنيسة.

(فرح الحُبِّ، الفصل الثامن)

١. عرض الفصل

إنَّ طريقة عيش العلاقات بين الزوجين والعائلة تتطوَّر مع الزمن.

هذه الملاحظة تُعيدنا إلى الفصل الثامن من الإرشاد الرسوليّ 'فرح الحُبِّ' (مرافقة الهشاشة وتمييزها ودمجها) (§ ٢٩١-§ ٣١٢). لقد بدا لنا مُهمّاً أن ننقل بعض الفقرات بكاملها، أو على الأقل بعض أقسامٍ منها، من أجل أن نتجنَّب تكرار معنى النصِّ بعبارات مرادفة.

إنّ هدفَ هذا الاجتماع هو أن يجعلنا نفكر في الأوضاع التي نجدها في المجتمع الذي نعيش فيه، وفي ردّات فعلنا وصعوباتنا وتساؤلاتنا أمام الأوضاع التي تُفاجئنا أو التي لا تتلاءم مع تصوّراتنا المعتادة. في الإرشاد الرسولي المشار إليه، يصف البابا فرنسيس بعض هذه الأوضاع في الفقرات ٢٤٧ إلى ٢٥٢.

٢. شهادات

❖ في الربيع القادم، سوف نتزوَّج في الكنيسة. نحن نعيشُ معًا منذ أكثر من ٥ سنوات ولدينا طفل اسمه مَتِّيَّا، عمره سنتان ونصف السنة. لقد قرَّرنا العيشُ معًا بعد بداية علاقتنا بحوالي ١٨ شهرًا. وقد أخذنا هذا القرار لأننا كنّا نشعر بالحاجة إلى ذلك وبرغبةٍ شديدة في أن نبدأ بناءً شيءٍ مُهمٍّ وملموسٍ أكثر من ذي قبل. لقد ساعدنا العيشُ معًا على أن نعرفَ بعضنا البعض معرفةً أفضل وأن نفهم المُكوّنات الجوهرية التي تجعل العلاقة الزوجية تسير على ما يُرام.

بعد ذلك، جاء «مَتِّيَّا» الذي كنّا نرغب بشدّة في مجيئه. ومعهُ، كَبُرَتْ أخيرًا العائلةُ التي أردنا إنشاءها. بالطبع، إنّ الشوق والرغبة في أن نتزوَّج كانا دائمًا موجودين منذ بدء علاقتنا، لكننا أبعدهما عن تفكيرنا إلى وقتٍ لاحقٍ لأسبابٍ مختلفة، خصوصًا الاقتصادية منها والمهنية، لكيما يكونَ زواجنا عيدًا جميلًا نتقاسمه ونحتفل به مع الأصدقاء والأهل.

لقد أنهينا الآن دورة تحضيرٍ للزواج في ثمانية لقاءات، رافقنا فيها ثنائيان متزوَّجان وكاهن. وقد شاركنا في هذه الدورة سبعة أزواج آخرين يتوون الزواج، ويعيشون كلُّهم في وضع المُساكنة. كان أمرًا جميلًا أن لا نشعر بأننا مُدانون، بل بأنّ هناك مَنْ يأخذُ بيدينا مع الكثير من الاستعداد والانتباه والبساطة. إنّ المواجهة مع سائر الأزواج حول مسألة الزواج وضرورته كانت إيجابيةً جدًّا: ومَنْ يَعْلَم! فقد نُواصل اللقاء بعد الزواج؟

(ألسنדרو وسيلفيا - شهادة قُدِّمَتْ أمام مجموعةٍ للتحضير للزواج)

❖ (لم تُراوطني نفسي بأن أجهض لأتّي أنا «فلانة») ثمرةُ حُبِّ. اليوم، تتألّف عائلتنا مِنِّي ومنها، إذ قد بلغت السادسة عشرة من العُمر. نعم، لقد بدأت قصّتي المؤلمة والرائعة تحديدًا في نهاية التسعينات عندما وقَعْتُ في غرام ... (فلان)، يمكن القول في غرام الشخص السيئ. هذه العلاقة أدتْ بعد سنة، إلى حَبْلِ جَعَلَنِي دائمًا سعيدةً، حتى عندما قال لي بوضوح إنّه يتعيّن عليّ اللجوءُ إلى الإجهاض. ولم يكن ذلك كلَّ شيء، بل إنّه تجرأ على محاولة التسبّب بالإجهاض من خلال علاقة جنسيّة عنيفة.

ومع الدعم النفساني الذي قدّمه لي والداي وأختي، تابعتُ فترة حَبلي حتى النهاية. لقد استقبلتُ مع طفلي الصغيرة في المنزل الوالديّ خلال ستّ سنوات. بعد ذلك، قرّرتُ الذهاب لكي أعيش وحدي معها، تحديدًا لأننا نحن الاثنين العائلة الحقيقيّة.

كان عليّ أن أواجه سلسلة من المشاكل الاقتصادية والتنظيميّة. وحتى أصدقائي في الرعيّة أيضًا، بعد مرور أوقات الفضول الأولى، اختفوا بسرعةٍ من أُنفي. لقد اجتزنا أوقاتًا قاسية، وبخاصّةٍ هي، حينما شعرتُ بأنّها مرفوضةٌ من قبل أبيها الذي لم يشأ حتى أن يلتقيها... وكذلك أنا، لرؤيتي إيّاها تتألم. وكأنّ ذلك كلّهُ لم يكن كافيًا، إذ شخّص لي الأطباء منذ عشر سنوات ورمًا خبيثًا. تُرى منّ أنا بعد هذه المسيرة التي توالى فيها العقبات؟ أنا امرأةٌ اضطرتُ إلى أن تُدير، وحدها عمليًا، خياراتها الأكثر أهميّة والخيارات التي فرضتها عليها الحياة.

هذه هي حياتي، حتى وإن كان يصعب تصديق ذلك، بما استطعتُ اكتشافه فيها بنفسِي، مع جميع الناس الذين تسنّى لي أن ألتقيهم، وبفضل المخلوقة الرائعة التي ولدتها. هذه هي حياتي التي لا أريد أن أحيّا حياةً سواها.

ومع أنّي مؤمنةٌ في العمق، يجب عليّ القول، مع الأسف، إنّني لم أبدأ بأن أعيش بشكلٍ جيّد وأن أقبل هذا الوضع، إلّا منذ اللحظة التي تمكّنتُ فيها من أتخطّى الشعور بالذنب الذي نقلته إليّ التربية الدينيّة التي تلقّيتها. وبالفعل، إنّ الأصدقاء الذين استقبلوني وقبلوني وأبدوا لي الرحمة والصدقة، كانوا حصرًا الأشخاص الذين عرفتهم في العمل، وفي كلّ حال، خارج دائرة الرعيّة التي ترعرعتُ فيها، حتى الفترة التي حبلتُ فيها».

(فرجينيا)

٣. للتفكير

§ ٢٩٢- الزواج المسيحيّ، الذي هو انعكاسُ اتّحادِ المسيح وكنيستهِ، يتحقّق كليًا في اتّحاد رجلٍ وامرأة يهبان ذاتهما هبةً متبادلة في حُبٍ حصريٍّ وأمانة حُرّة، وينتميان الواحد للآخر حتى الموت، وينفتحان على إمكانيّة نقل الحياة، مُكرّسين بالسرّ الذي يمنحهما النعمة لكي يؤلّفا كنيسة بيتيّة وخميرة حياةٍ جديدة للمجتمع. هناك أشكالٌ أخرى لاتّحاد الرجل والمرأة تُناقض جذريًا هذا المثل الأعلى، غير أنّ بعضها يحقّقه على الأقلّ جزئيًا ونسبيًا. لقد أكّد آباءُ السينودس أنّ الكنيسة لا تتوانى في إبراز قيمة العناصر البناءة القائمة في هذه الأوضاع والتي لا تتطابق بعدُ، أو لم تُعد تتطابق، مع تعليمها عن الزواج.

§ ٢٩١ - أكد آباء السينودس أنّ الكنيسة حتى وإن كانت تقهم أنّ كلّ قطعٍ للرابطة الزوجية (بسير بخلاف إرادة الله، فهي واعيةٌ أيضًا لهشاشة عددٍ من أبنائها). وهي، إذ تستنير بنظرة يسوع، (تتوجّه بحُبِّ نحو الذين يشاركون في حياتها مشاركةً غير كاملة، مع اعترافها بأنّ نعمة الله تعمل أيضًا في حياتهم وتُعطيهم الشجاعة على أن يعملوا الخير، ويعتتوا بحُبِّ بعضهم ببعض، ويكونوا في خدمة الجماعة التي يعيشون ويعملون فيها)). هذا، ويتوّطّد هذا الموقف في إطار السنة اليوبيلية المكرّسة للرحمة. ومع أنّ الكنيسة تعرض علينا الكمالَ دائمًا، وتدعونا إلى أن نُجيب الله في الملء، فإنّه يتعيّن عليها (أن تُرافق بمزيد من الانتباه أبناءها الأكثر هشاشة، الموسومين بحُبِّ مجروحٍ وتائه، لكي تُعيد لهم الثقة والرجاء، كنورٍ منارةٍ في المرفأ أو كنورٍ مشعلٍ موضوعٍ وسطَ الناس لكي يُنير الذين ضلُّوا طريقهم أو الذين هم في قلب العاصفة)). لا ننسى أنّ مهمّة الكنيسة تُشبه غالبًا مهمّة مستشفى ميدانيّ.

➤ أوضاعٌ معقّدة

أو أوضاعٌ مختلفة، أو دقيقة، أو معقّدة كما يقول البابا فرنسيس (فرح الحب، § ٣١٢). هذه التعبيرات العامّة تعكس أوضاعًا متنوّعة جدًّا: من العيش في وضع المساكنة إلى العلاقات المثليّة، مرورًا بالأزواج المُطلّقين والعائلات الأحاديّة الأهل (أولاد مع أبٍ أو أمٍّ فقط).

هذه الأوضاع تعكس تطوّرًا في الموضع والدور المعترف بهما تقليديًّا في مجتمعاتنا للرجل والمرأة، كما تعكس إعادة النظر في الالتزام داخل الزواج.

لا نتطرّق هنا إلى جميع المسائل المرتبطة بالأخلاقيّة الإحيائيّة (la bioéthique). كما أنّ الوضع، من جهة أخرى، يختلف من بلد إلى بلد، ومن قارةٍ إلى أخرى، تبعًا للثقافة والتاريخ والتشريعات السائدة...

➤ موقفٌ إنجيليّ

موقفٌ ترحيبٌ أمام هذه الأوضاع

نعيش، في هذا العصر، في مجتمعٍ مُعيّن تخترقه تياراتٌ متعدّدة تُؤلّد أشكالًا من العيش والتصرّف متنوّعةً جدًّا. وبدون الدخول في أحكام أخلاقيّة، لا بدّ لنا من قبول هذا التعقيد.

إنّ الإنسان المسيحيّ يعيش وسطَ العالم: فلا يستطيع أن يعتبر هذا العالم شيطانًا ولا أن يعيش في التأسّف على عصرٍ مضى يُسبغ عليه، خطأً، كافّة المزايا.

هذا الموقف يجبُ ترجمته بالطبع على الصعيد الراعويّ، إلّا أنّه يجد أساسه في الموقف الشخصي لكلِّ إنسان.

§ ٣٠٠ - إذا أخذنا في الحسبان ما في الأوضاع الملموسة من تنوع وتعدد... نستطيع أن نفهم أنه لم يكن علينا أن ننتظر من السينودس أو من هذا الإرشاد الرسوليّ تشريعاً عاماً جديداً من النوع القانوني الكنسيّ الصالح للتطبيق في جميع الحالات. المطلوب فقط تشجيع جديد على التمييز المسؤول الشخصي والراعيّ للحالات الخاصة، من شأنه الاعتراف، بما أنّ درجة المسؤولية ليست نفسها في جميع الحالات، أنّ نتائج أو مفاعيل قاعدة ما، لا ينبغي بالضرورة أن تكون دائماً هي نفسها. إنّ مستلزمات الإنجيل لا تتغيّر، ولكن، من المناسب أن نحسب حساب ((التكيف مع الظروف والأسباب التخفيفية)).

§ ٣٠١ - ... لم يعد ممكناً القول إنّ جميع الذين يوجدون في وضع معيّن يُوصف بأنه ((شاذ)) أو ((غير عادي))، يعيشون في حالة خطيئة مميّزة، محرومين من النعمة المقدّسة. فالحدود ليست في الرؤية الحصرية مع عدم معرفتنا، عند الاقتضاء، القاعدة الأساسية. فحتى لو كان إنسان يعرف القاعدة معرفة جيّدة، فقد يجد صعوبة كبيرة في فهم ((القيم المشمولة بالقاعدة)) أو يمكن أن يجد نفسه في ظروف موضوعية ملموسة لا تسمح له بأن يتصرّف بشكل مختلف وأن يأخذ قرارات أخرى بدون أن يرتكب خطأ جديداً. ...

§ ٣٠٢ - ... يوضح ((التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكية)) (الفقرة ١٧٣٥) ((أنّ تبعه عمليّ ما ومسؤوليته يمكن تخفيفهما، وحتى إلغاؤهما، لعلّة الجهل والسّهو والعنف والخوف والعادات والآفات المفترطة وسائر العوامل النفسانية أو الاجتماعية)). وفي فقرة أخرى، يحيلنا التعليم المذكور مجدداً إلى الظروف التخفيفية للمسؤولية الأدبية، ويذكر، ضمن مروحة متنوّعة، ((عدم النضج العاطفيّ، (...))، قوّة العادات المكتسبة (...))، حالة القلق والضيق، أو عوامل أخرى نفسانية واجتماعية)). ولذلك، فإنّ حكماً سلبياً على وضع موضوعي لا يستتبع الحكم على مسؤولية الشخص المعنيّ أو عدم مسؤوليته.

ضرورة أن تأخذ بالاعتبار ضمير الأشخاص وقاعدة التدرّجية

يدلّ القانون جميع الناس على الطريق. غير أنّ التدرّجية (La gradualité) ليست في القانون، بل في الواقع المتمثّل في أنّ كلّ شخص يستطيع الاقتراب التدرّجيّ منه.

§ ٢٩٥ - لقد اقترح القديس يوحنا بولس الثاني ما يُسمّى بـ((قانون التدرّجية))، مع وعيه أنّ الكائن البشريّ ((يعرف الخير الأخلاقيّ ويحبّه ويتممّه متبّعاً مراحل نموّ معين)). هذا ليس ((تدرّجية القانون))، بل هو تدرّجية في الإتمام الحذر للأعمال الحرة من قبل أشخاص ليسوا في ظروف ملائمة لا لفهم منطلقات القانون الموضوعية، ولا لتقدير قيمتها، ولا لمراعاتها والالتزام الكليّ بها. وبالفعل، إنّ القانون هو أيضاً عطية من الله تدلّنا على الطريق، عطية للجميع بدون استثناء، يمكن عيشها بقوّة النعمة، حتى ولو كان

كلّ كائنٍ بشريٍّ (يسير خطوةً خطوةً إلى الأمام بفضل تبنّيه التدريجيّ لعطايا الله ولمستلزمات محبّته النهائية والمطلقة في كلّ حياة الإنسان الشخصية والاجتماعية).

§ ٣٠٤ - ... بالطبع، إنّ القواعد العامة تُقدّم خيراً لا ينبغي جهله أو إهماله، غير أنّها، في كيفية صياغتها، لا يمكنها في المطلق أن تشمل جميع الأوضاع الخاصة. وفي الوقت عينه، يقتضي القول، لهذا السبب تحديداً، إنّ ما يُشكّل جزءاً من تمييز عمليّ في مواجهة وضع خاص، لا يمكن رفعه إلى فئة قاعدةٍ عامة.

٤. للمضي إلى الأبعد

■ «تجتاز العائلة أزمةً ثقافية عميقة، على غرار كافة الجماعات والروابط الاجتماعية. وفي حالة العائلة، تصبح هشاشة الروابط خطيرةً بوجه خاص لأنّ الأمر يتعلّق بالخلية الأساسية في المجتمع، أي بالمكان الذي نتعلّم فيه العيش معاً في الاختلاف والتنوع، كما نتعلّم الانتماء إلى الآخرين، وفيه ينقل الأهل الإيمان إلى الأولاد. إنّ الزواج يسعى إلى أن يُنظر إليه كشكلٍ بسيط من أشكال المكافأة العاطفية التي يمكن أن تتكوّن بأيّ شكلٍ كان، وأن تتعدّل وفقاً لحساسية كلّ إنسان. غير أنّ مساهمة الزواج الضرورية في المجتمع تفوق مستوى الشعور العاطفي الانفعالي والضرورات الطارئة على الزوجين. هذه المساهمة لا تولّد، كما يُعلّمنا الأساقفة الفرنسيّون، من الشعور الغرامي، العابر تحديداً، وإنّما من عمق الالتزام المأخوذ من قبل الزوجين اللذين يقبلان بالدخول في اتحاد الحياة الكليّ».

(فرح الإنجيل، ٦٦)

في خطاب افتتاح المجمع الفاتيكانيّ الثاني، في ١١ تشرين الأول ١٩٦٢، استعمل البابا القديس يوحنا الثالث والعشرون كلماتٍ قويّة تُجاه المسيحيّين الذين دعاهم «أنبياء الشؤم»:

«يحصل لنا غالباً في ممارستنا اليومية للخدمة الرسولية أن نتخدش أذائنا حين نعلّم ما يقوله عنّا بعض الناس الذين، برغم كونهم يتقدّون بغيره دينيّة، يفتقدون إلى صوابية الحكم والتعلّل في طريقتهم لرؤية الأشياء. فهم، في الوضع الحاليّ للمجتمع، لا يرون إلاّ الخراب والكوارث. لقد اعتادوا القول إنّ عصرنا قد تردّت حاله في العمق بالمقارنة مع القرون الماضية؛ وهم يتصرفون وكأنّ التاريخ، الذي هو معلّم حياة، ليس لديه شيء يُعلّمهم إيّاه، وكأنّ كلّ شيء، في زمن المجامع السابقة، كان كاملاً لجهة العقيدة المسيحية والأخلاق والحرية العادلة للكنيسة. يبدو لنا ضرورياً أن نعلن اختلافنا التام مع هؤلاء الأنبياء،

أنبياء الشؤم والمصائب، الذين يُنبئون دائماً بالكوارث، وكأنَّ العالمَ شارفَ على نهايته. ففي مجرى الأحداث الحاليّ، وفي حين يبدو المجتمع البشري أمام نقطة تحوُّل، من الأفضل التعرُّفُ إلى المقاصد السريّة للعناية الإلهية التي، عبّر توالي الأزمنة وأعمال البشر المناقضة في معظم الأحيان لكلّ توقُّع وانتظار، تَبْلُغُ غايَتَهَا وتُدَبِّرُ بحكمةٍ كلَّ شيءٍ لِخَيْرِ الكنيسة، بما فيها الأحداث المعاكسة.

حول الموضوع...

<p>(فرح الإنجيل) Evangelii Gaudium الدستور الراعوي (الكنيسة في العالم اليوم) Gaudium et Spes (أول من قال) – Le premier qui l'a dit, de Ferzan Ozpetek (كل شيء على ما يُرام) Tout va bien, de Lisa Cholodenko</p>	<p>البابا فرنسيس..... المجمع الفاتيكاني الثاني فيلم:</p>
---	--

من ٥ إلى ٧ : للتقدُّم إلى الأمام

٥. مسارات تفكير للمجالسة

- أن نكون متواضعين أمام قريننا ومنتبهين لحقيقته؛ كيف نقبلُ اختلافه عنّا؟
- منذ يوم زواجنا، تغيَّر كلُّ منّا. كيف نعيش ذلك؟
- ما هو موقفنا أمام ما يستجدّ على الآخر: المرض، التطوُّر المهنيّ، التصرُّف كأبٍ أو كأمّ، أو كجدّ؟

٦. اقتراحٌ للمشاركة الروحية

- الصلاة الزوجية: التحدُّثُ سويّةً مع الربّ. كيف نقوم بذلك؟

٧. مسارات لتبادل الرأي في الفرقة

- ما هي ردة فعلنا على عدم الفهم، على الخيبات، وحتى على الألم الذي نشعر به أمام الخيارات الحياتية للأشخاص القريبين منّا؟
- هل نعمل على حفظ الصمت، والملاحظة، والتفكير، ثم الصلاة، قبل كلّ شيء؟

- لِتُحَاوِلِ ((الدخولَ إلى قلب مأساة الأشخاص...)) ((لكي نساعدَهم على العيش بطريقة أفضل وعلى التعرفِ إلى مكانهم في الكنيسة)) (فرح الحب، ٣١٢)، ولتُحَاوِلِ النظرَ والإصغاءَ إليهم بالعيون والقلب، وبرحمة المسيح. كيف يمكننا القيام بذلك؟ وماذا بوسعنا أن نقوله لهم؟
- مقارنةً مع فترة زواجنا، تطوّرت بيئتنا وظروفُ حياتنا: قربُ العائلة، تطوُّرُ المجتمع، عملٌ غير ثابت، مواردٌ ماديّة متقلّبة... هل نحن منتبهون لذلك؟ هل نعرف أن نقيس بدقّة هذه التغيّرات؟
- هل نعتزُّ، يا ربّ، بحضورك الفاعلِ وسطَ العالم؟ أيُّ مكانٍ وأيّ ثقةٍ نوليها للعناية الإلهيّة (القديس يوحنا الثالث والعشرون)؟
- ((... تمييزٌ رَعويٌّ موسومٌ بحبِّ رحيم، يتوق دليماً إلى أن نفهمَ ونغفرَ ونُرافقَ وننتظرَ، وبخاصّة إلى أن نستوعب وندمج (S ٣١٢)). فلنُفكِّر في هذا الاقتباس من الإرشاد الرسولي (فرح الحب).

٨. الصلاة الختامية

من إنجيل القديس لوقا (١٢ : ٥٤-٥٧)

وقال يسوع أيضاً للجُموع: ((إذا رأيتم غمامةً ترتفعُ في المغرب، فُلتم من وقتكم: سَيَنْزِلُ المَطَرُ، فيكونُ كذلك. وإذا هبَّت الجَنوبُ فُلتم: سيكونُ الجَوُّ حارًّا، فيكونُ ذلك. أيُّها المَراؤون، تُحسِنونَ تفهَمَ منظرِ الأرضِ والسَّماءِ، فكيفَ لا تُحسِنونَ تفهَمَ الوَقْتِ الحاضرِ؟ ولمَ لا تحكُمونَ بِالعدْلِ من عندكم؟

Illustrations :

p. 7 : Marc Chagall : le Cantique des Cantiques IV – Musée Marc Chagall – Nice – Photo © RMNGrand Palais/Adrien Didierjean – © ADAGP

p. 17 : Daniel Ridgway Knight : Coffee in the garden – Collection privée

p. 26 : Icône de la Transfiguration attribuée à Théophane le Grec

p. 27 : Le Caravage : la vocation de saint Matthieu – Eglise saint Louis des Français – Rome

p. 34 : Icône de la création de la femme p. 35 : Battistello Caracciolo : Joseph et la femme de Putiphar – Galerie Maurizio Nobile – Bologne

p. 54 : La cour céleste – Palerme

p. 55 : Jean Baptiste Tiepolo : l'éducation de la Vierge – Eglise Santa Maria della Fava – Venise

p. 64 : Fra Angelico : prédelle du retable de l'église du couvent saint Marc – Florence

p. 65 : Van Gogh : Les premiers pas – Metropolitan Museum – New York

